التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 141 السنة السابعة عشر - اغسطس 2019

معوّقات العمل السياسي

ذكرى رحيل أحمد الذوادي

12

المواطنة والقوى الوطنية في البحرين

9

التجربة المؤودة في السبعينات

17

موقفنا

ما تحتاجه البحرين

جوهر ما تعاني منه البحرين من مشكلات، سياسي بالدرجة الأولى. صحيح أن الأمر أخذ أبعاداً أمنية، لكن ذلك لا يغير من طبيعته. وصحيح أيضاً أن البلاد تواجه، اليوم خاصة، صعوبات اقتصادية ومعيشية جدّية، لكن معالجة هذه الصعوبات والسعي لحلها يتطلبان بالضرورة التغلب على أوجه الاحتقان السياسي المستمرة منذ العام 2011.

الدواء من نفس الداء، والتغلب على المشاكل السياسية يتطلب حلولاً سياسية. الحلول الأمنية هي دائماً وفي كل الحالات، حلول قاصرة وجزئية، لأنها لا تعالج جذور المشكلات، وتُبقي عليها، وإن بدا أنها توارت، لكنها في الحقيقة تظل قائمة، بل أنها تؤدي إلى تفاقمها.

الابتعاد الزمني عن أحداث 2011 المؤسفة معطى طبيعي. لكن إزالة آثارها والتوجه نحو مستقبل أكثر أمنا وطمانينة معطى ينبع من الإرادة السياسية، ومن هنا كان المؤمل ألا تنفذ أحكام الإعدام التي صدرت بحق شابين متهمين في قضايا أمنية. لأن ذلك يبعدنا أكثر عن خيار الحل السياسي للمشاكل التي نعيشها، فيما مسؤولية الدولة والقوى السياسية والمجتمعية المختلفة هي في دفع البلاد نحو طريق هذا الحل، الذي يراعي التعقيدات الإقليمية المحيطة، والتجاذب السياسي الداخلي.

وباعتبارها تمتلك ناصية الأمور، فالدولة بشكل خاص مطالبة بالمسارعة إلى نهج أكثر فاعلية في التعاطي مع الوضع القائم، وعلى قاعدة من الشراكة الحقيقية بفتح حوار وطني جاد مع مختلف القوى السياسية الحية يأخذ ببلادنا نحو آفاق رحبة من الاستقرار والتسامح، ووقف العنف وكافة الانتهاكات، ونبذ نزعات التنافر المذهبي والطائفي، وتحقيق مبادئ العدالة الاجتماعية بما يؤسس لواقع ومستقبل جديدين بروح الإصلاح والتقدم.

إن الشراكة المنشودة في صياغة قرارنا الوطني، تقتضي التوجه لإعادة النظر في المنظومة التشريعية الموروثة، وتحرير القوانين المعمول بها من روح ونصوص قانون أمن الدولة المعيقة والمقيدة للحريات، وتطوير التشريعات لتلبي حاجات الإصلاح والتحول نحو الديمقراطية.

وليس خافياً أن القوى الوطنية ومؤسسات المجتمع المدني بما تتمتع به من حيوية ساهمت في إعلاء مكانة البحرين على الصعيد الدولي، وقدّمت قضايا وإشكالات التحول الديمقراطي في البلاد من موقع الولاء للوطن والحرص على سلامته والرغبة الصادقة في تحقيق أهداف البناء الديمقراطي والشراكة الضرورية بين الدولة والمجتمع.

وبالتأكيد فإنه كلما فُعلت هذه الشراكة ونُشّطت آليات الحوار الداخلي لبلوغ التوافقات حول القضايا مثار الجدل في البلاد تحسنت صورة البحرين ومكانتها في المجتمع الدولي، التي تحققت بفضل الآليات التي أطلقت عشية التصويت على ميثاق العمل الوطني قبل نشوء الأزمة.

التقدمي

بحضور وجوه نقابية بارزة

هاشم و رضي يتحدّثان عن الحوار الاجتماعي والمفاوضات الجماعية

أكدّ الرفيق فلاح السيد هاشم عضو كتلة «تقدّم» البرلمانية أن مصلحة العمال من الحوار الاجتماعي والتفاوض الجماعي تكمن في مدى تحقيق التفاهم وتوفير الشفافية والوصول إلى المعلومات من أجل الوصول إلى قرارات تخدم العملية التفاوضية وذلك ضمن معايير وطنية ودولية، كما بأنه بالإمكان حل بعض المشاكل العمالية والنقابية داخل المؤسسات الانتاجية من خلال التعاون المشترك وإبداء الرغبة الصادقة في الجلوس على طاولة واحدة للحوار وتبادل المعلومات والآراء.

من جانبه قال النقابي كريم رضي الأمين العام المساعد للاتحاد العام لنقابات العمال في البحرين إن الحوار الاجتماعي يختلف من بلد إلى آخر؛ ولكن المهم هو وجود مرونة يبديها أطراف الحوار للوصول إلى حلول ناجعة تخدم الأطراف المشاركة فيه، خاصة تلك المتعلقة بتحقيق الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية في المجتمع وفق ما جاء في مبادئ منظمة العمل الدولية.

جاء ذلك خلال ندوة أقامها النقابات العمالية والمهنية في المنبر التقدمي بتاريخ 21 يوليو 2019 بعنوان (الحوار الاجتماعي والمفاوضات الجماعية) في ملتقى التقدمي الأسبوعي، وحضرتها وجوه وقيادات نقابية معروفة.

المهم هو وجود مرونة يبديها أطراف الحوار للوصول إلى حلول ناجعة تخدم الأطراف المشاركة فيه

حيث أشاد رضي بقانون العمل لسنة 2012، الذي وصفه بأنه قانون جيد يخص المنشآت والقطاعات، ولكن المشكلة تكمن في عدم تطبيق انتظام المفاوضات المتعلقة بالأجور واستمرارية الترقيات في المؤسسات، مشيراً إلى أن هناك تواصل وتنسيق مع وزارة العمل في قضايا تخص العمال والعاطلين وغيرها.

النائب هاشم، وهو أيضاً نقابي سابق معروف، توقف في ورقته أمام الإتفاقيات الدولية التي وقعتها حكومة البحرين بوجود أطراف الانتاج الثلاثة: الحكومة/ العمال/ الغرفة، مؤكداً على أهمية الالتزام بها .

وشهدت الندوة مداخلات مهمة من عدد من النقابيين الحاضرين، الذين أثروا المناقشات بدورهم.

قانون تنظيم الصحافة والإعلام الجديد في ملتقى التقدمي

استضاف ملتقى التقدمي الأسبوعي الصحفي المخضرم الأستاذ علي صالح في ندوة تحدث فيها حول مشروع قانون تنظيم الصحافة والإعلام الجديد، وتناول خلالها ثلاثة محاور هي: أحدث البدائل أو التعديلات التي صدرت على مرسوم 47 لعام 2002، السمات المشتركة بين قوانين الصحافة الخمسة التي صدرت في البحرين على مدى 66 عاماً، الكلمة الضائعة ما بين الخوف والتشكيك من ناحية والثقة والإشادة من ناحية أخرى.

وشهدت الندوة مناقشات تناولت الموضوع المطروح، كان من بين المساهمين فيها الصحفي المخضرم أيضاً الأستاذ عقيل سوار الذي قدّم مداخلة مستفيضة عن تجربته في هذا المجال. وتنشر «التقدمي» في هذا العدد الورقة التي قدّمها صالح في الندوة.

فيلم «العجوز والبحر» في ملتقى التقدمي الأسبوعي

استمتع حضور الملتقى الأسبوعي ل«التقدمي» مساء الأحد الموافق 14 تموز/ يوليو الماضي بمشاهدة فيلم (العجوز والبحر)، المأخوذ عن العمل الشهير للأديب العالمي إرنست همنغواي الصادر في خمسينيات القرن الماضي والذي يحمل الاسم نفسه.

أدى دور العجوز في الفيلم الممثل الأمريكي المعروف أنطوني كوين الذي برع في أداء دور العجوز الصياد بشكل رائع .وتدور أحداث الفيلم في جزيرة كوبا حول العجوز سانتياجو الذي يعشق البحر وصيد الأسماك، يتعرف على صبي هو ابن لأحد الصيادين في نفس المنطقة، فرّغه والده للاعتناء بالعجوز الذي توفيت زوجته قبل سنوات، ورحلت ابنته الوحيدة إلى العاصمة هافانا، حيث تعيش مع زوجها وأولادها.

يرفض سانتياجو الذهاب مع ابنته والعيش في العاصمة، ويستمر في البقاء في بلدته الصغيرة المطلة على البحر والعيش مع الصيادين، وكان الصبي الصغير المأخوذ بمباريات البيسبول الامريكية وباللاعب السابق ديماجيو الذي أصبح عجوزاً يجد متعة في الحديث مع سانتياجو حول ذلك، كما أنه يؤخذ بخبرة العجوز في الصيد وبتصميمه وعزيمته رغم تقدّم السن به.

مع ذلك يعاند الحظ سنتياجو، حيث تمرّ أربعة وثمانون يوماً دون أن يظفر بسمكة واحدة، ولكنه في اليوم الخامس والثمانين يعقد العزم على التوغل بقاربه ولوحده بعيداً في عمق البحر حيث تكثر أسماك القرش، وفي وحدته وسط البحر يظل العجوز يُكلم نفسه بصوت مرتفع، رغم علمه بأنه لو سمعه أحدهم لظنّ أنه مجنون، لكنه لا يكترث بذلك.

الفيلم يؤكد على إرادة الإنسان واصراره على خوض الصعاب وفي تحقيق ما يصبو إليه بغض النظر عن تقدم العمر، وفي أن يجد في الحياة ما يستحق العيش من أجله والعمل على تحقيقه.

فضفضة

فواتير «الكهرباء» الحارقة

عيسى الدرازي

حرارة الصيف الحارقة، أحرقت جيوب شريحة كبيرة من المواطنين، بسبب الارتفاع في فواتير الكهرباء والماء بصورة مفاجأة ومضاعفة. السبب يعود إلى زيادة تعرفة الكهرباء والماء المطبقة منذ مارس الماضي ولكن منذ متى يشكو الناس من فواتير الشتاء أو نهاياته؟.

هذا ماحدث، فبحلول أول شهور فصل الصيف ظهرت فعلياً معنى زيادة رسوم التعرفة وتطبيق النظام الجديد ذي الثلاث شرائح على مسكن المواطن الأول، وهي حسبة بها من تعقيد ما يضع المواطن غير الملم بها في حيرة الأرقام ووحدات القياس والرضا بما كتب له في الفاتورة الشهرية – والتي حسب تصريح المسؤولين في هيئة الكهرباء والماء من الممكن أن تكون قراءة خاطئة– وبين حرارة الصيف وحرارة فواتير الكهرباء والماء ارتفعت الشكوى لعلها تجد الحل.

نظام الشرائح الثلاث المطبق منذ مارس الماضي جاء لمجاراة برنامج التوازن المالي، حيث يشرحه الوزير المعني بأنه «يتم بيع الكهرباء للاستخدام المنزلي بثلاثة فئات سعرية موحدة للمواطنين في المسكن الأول بموجب القرار الوزاري رقم 1 لسنة 2016 بشأن تعرفة الكهرباء والماء وذلك بسعر 3 فلوس/ كيلووات للشريحة الأولى للاستهلاك حتى 3000 كيلووات، وسعر 9 فلوس/كيلووات للشريحة الثانية من 3001 إلى 5000 كيلووات، وسعر 16 فلسا/ كيلووات للشريحة الثالثة من 5001 كيلووات فأكثر»، والأمر مشابه فيما يتعلق ببيع الماء حيث «يتم بيع الماء للاستخدام المنزلي بثلاثة فئات سعرية موحدة للمواطنين والمقيمين، وذلك بسعر 25 فلس/ متر مكعب للشريحة الأولى للاستهلاك حتى 60 مترا مكعبا، وسعر 80 فلس/متر مكعب للشريحة الثانية من 61 إلى 100 متر مكعب، وسعر 200 فلس/متر مكعب للشريحة الثالثة من 101 متر مكعب فأكثر».

لعلّ الكثير غير ملم بطريقة احتساب التعرفة بنظامها الجديد؛ ولكن الجميع كان متفقاً على أن برنامج التوازن المالي وخططه المنبثقة عنه لن تمسّ جيب المواطن بصورة مباشرة وإن إعادة التوازن للميزانية العامة للدولة لن يتحملها المواطن، ولكن بعد تطبيق ضريبة القيمة المضافة منذ بداية العام وزيادة الشركات والمؤسسات المنضوية تحت قانون القيمة المضافة منذ منتصف العام الجاري كذلك وبعدها الزيادة على تعرفة الكهرباء والماء كل ذلك أظهر أن المستهدف هو جيوب المواطنين بصورة مباشرة.

بات من الواضح تماماً بصورة لا تحمل التأويل الإتجاه المتسارع في البلد نحو الخصخصة، ويمكن أن تستغل زيادة التعرفة على الكهرباء والماء لفتح السوق نحو دخول شركات توزيع الكهرباء والماء بدلاً من الهيئة الموجودة حالياً، بحجة تطوير العمل والاستفادة من خبرات القطاع الخاص وتأمين التنافسية التي ستصب في صالح المواطن، ولكن كل تلك المسوغات والحجج ماهي إلا عبارة عن العسل الذي يخفي العلقم بداخله.

اللجنة الاجتماعية تقيم إفطاراً للأعضاء والأصدقاء

ضمن أنشطتها الاجتماعية أقامت لجنة الأنشطة الاجتماعية في المنبر التقدمي إفطاراً صبيحة السبت الموافق 20 يوليو / تموز في مطعم فودز آت هوم (foods at hoome) بحضور عدد كبير من الرفاق والأصدقاء، وساد هذا النشاط جواً رفاقياً، وكان فرصة لتبادل الأحاديث والآراء.

يذكر أن اللجنة الاجتماعية تحرص على تنظيم فعاليات مختلفة، وإحياء المناسبات الاجتماعية والأعياد بأنشطة تستقطب الكثيرين من أعضاء المنبر التقدمي والأصدقاء وأفراد عائلاتهم.

قطاع المرأة يحيي المؤتمر العاشرلرابطة المرأة العراقية

بعث قطاع المرأة في المنبر التقدمي رسالة تحية للرفيقات في رابطة المرأة العراقية بمناسبة انعقاد مؤتمرهن العاشر في الرابع من يوليو / تموز الماضي.

وتقدّم قطاع المرأة في «التقدمي» بصادق تمنياته للمؤتمر بالنجاح في الخروج ببرنامج عمل يواصل المسيرة الخالدة لرابطة المرأة العراقية المناضلة في سبيل حقوق المرأة والشعب والوطن العراقي.

وجاء في رسالة التحية: «لقد عهدناكن دائما في بلدكن الحبيب وفي الحركة النسائية العربية والعالمية مناضلات من أجل نصرة القضايا العادلة للمرأة والشعوب، وجسدّت احتفالاتكن المهيبة في مارس/آذار من هذا العام بالذكرى 67 لتأسيس رابطتكن المكافحة تاريخا زاخرا من النضال الذي لا يعرف الهوادة».

وعبّر قطاع المرأة في «التقدمي» عن تقديره العالي ل» دور رابطة المرأه العراقية البارز والفعال في النضال السياسي والشعبي في التصدي لكل انواع التمييز والقهر وتداعيات النزاعات المسلحة من اغتصاب وتشرد ونزوح وفقر ومجاعة»، كما طالب نطالب الحكومه العراقية والمنظمات الدولية ومؤسسات حقوق المرأة والإنسانية بدعم كل المساعي والجهود الوطنية والشعبية التى تبذلها رابطة المرأه العراقية في ظل التحديات والصعوبات التى يعيشها العراق».

وأشارت رسالة التحية إلى أن المؤتمر العاشر لرابطة المرأة العراقية "ينعقد في ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية وأمنية بالغة التعقيد والخطورة يمر بها العراق والمنطقة، وفي هذه الأيام يحوم شبح الحرب المقيتة الذي تلوح بها الدوائر الإمبريالية والصهيونية تجاه منطقتنا، منذرا بتهديد وتقويض الأمن والسلام في المنطقة والعالم، وعليه فإن النضال ضد الحرب ومن أجل السلام، يشكل أهمية استثنائية، خصوصاً بالنسبة للمرأة المعنية بمستقبل أطفالها والأجيال القادمة".

النازيون والارهابيون عملة واحدة

جواد المرخي

بوسعنا أن ندرك أن الإرهابيين والنازيين في العالم هم قوى مجتمعية وسياسية واحدة تجمع بينهم الكراهية والحقد للآخرين، حين نرى ما تقوم به العصابات النازية في العالم، خصوصاً في الغرب، جراء هيمنة القوى اليمينية التي تساهم في تشجيع قوى التطرف النازي لمحاربة المهاجرين من جهة، وعندما نرى ممارسات الصهاينة في إسرائيل وكيف يستخدمون العقلية النازية ضد الأقليات، وخصوصاً هجماتهم الوحشية ضد الشعب الفلسطيني من جهة أخرى.

كما يمكننا رؤية أوجه الشبه بين هذه القوى في ممارسات قوى الظلام والتخلف في ربوع الوطن العربي والبلدان المحيطة به، وكيف يفرضون الإرهاب وعقلية التطرف، لنكتشف أن هذه القوى تشترك في عدم تقبل الآراء والأفكارالأخرى، فهم لا يحتملون العيش مع من يختلف معهم.

الارهابيون والنازيون اينما كانوا هم حركات قديمة جديدة من صناعة الرأسمالية وهم يعملون في خدمة المشروع الإمبريالي الصهيوني الرجعي لتأجيج الصراعات المذهبية والطائفية لتعيش الشعوب حالة من عدم الاستقرار والخوف والرعب، وهذا جزء من مشروع الليبرالية المتوحشة لضرب قوى التقدم والحركات اليسارية التي تناضل من أجل السلم والحرية والعدالة الاجتماعية والتغيير الديمقراطي.

ويتم ذلك من خلال الزج بالبلدان في متاهات الحروب والفتن، خدمة للرأسمال الجشع، بتشغيل عجلة التصنيع العسكري في أمريكا والغرب، لتدر عليهم المليارات سنوياً مقابل تدمير ما بقي من منجزات وطنية ونهب ما تبقى من ثروات كالنفط والغاز وغيرهما كان من المفروض أن توجه عائداتها للنهوض بأوضاع شعوبنا وتقدمها.

إن تيارات التطرف من الإرهابيين والنازيين يعملون معاً لتمزيق وحدة الشعوب العربية بل والأنظمة، وهذا ما نراه الآن في الوطن العربي من حروب عربية عربية وخصام عربي عربي بعيداً عن المواقف القومية، ومن تجليات ذلك عجز جامعة الدول العربية عن النهوض بواجباتها المنشودة.

كل ذلك يأتي على حساب آمال وطموحات الشعوب العربية في غد أفضل خال من الاستغلال البشع ومن الجوع والبطالةً والفقر والاًضطهاد والظلم بأنواعه الذي جعل الشعوب العربية تعيش في أجواء صعبة من المهانة والحرمان والعوز والتخلف في العلم والمعرفة والتطور السياسي والاجتماعي.

«تقدّم» تدين الإعتداء على السفارة العـراقية ببغـداد

أعلنت كتلة تقدّم عن رفضها الشديد للإعتداء الآثم على سفارة مملكة البحرين في بغداد، وطالبت الحكومة العراقية اتخاذ الإجراءات الحاسمة لحماية السفارة وموظفيها.

كما أكدت الكتلة على ضرورة الإلتزام بالإتفاقيات والمعاهدات الدولية المبرمة في هذا الشأن، وثمنت حكمة القيادتين السياسيتين في البلدين الشقيقين لإحتواء الموقف.

«تقدّم» تلتقي بخريجي الجامعات الصينية وأولياء أمورهم

ضمن متابعتها لملف الخريجين من الجامعات الصينية، التقى عضو كتلة تقدّم النائب عبد النبي سلمان بمجموعة من الطلبة والطالبات الخريجين من الجامعات الصينية بمعية اولياء امورهم للتباحث في قضية معادلة شهادات هؤلاء الخريجين، خاصة بعد توجيهات مجلس الوزراء في شهر مارس الماضي للمجلس الأعلى للتعليم ووزارة التربية والتعليم بضرورة إيجاد حلول تكفل معادلة هذه الشهادات، وتأهيل من يحتاج منهم لذلك، على طريق حلحلة هذا الملف الذي تتحمل وزارة التربية والتعليم بالدرجة الأساس مسؤولية جعله معلقا طيلة الفترة الماضية لأسباب سبق لمجلس النواب بكامل أعضائه أن طالب بسرعة إيجاد حلول لها.

مطرقة البرلمان

وجوه من معوقات العمل السياسي

عبد النبي سلمان

كثيراً ما تصاب التجارب الديمقراطية والبرلمانية العربية الوليدة بأمراض ومعوقات يبدو أن الهروب منها يصبح متعذراً احيانا كثيرة بكل أسف، في ظل جملة من الأوضاع التي تفرض نفسها على كامل المشهد السياسي العام في العديد من بلداننا العربية، خاصة مع تراجع دور وحيوية الممارسة السياسية والديمقراطية، سواء بالنسبة للفضاء العام وحرية التعبير والنشر، أو حتى بالنسبة لدور وفاعلية الأحزاب والمنظمات ومؤسسات المجتمع المدني والنقابات تحديدا، والتي تعتبر بحق الرافعة الحقيقية لأي عمل سياسي يرتجى منه التطور.

وقد وعت الحكومات والأنظمة السياسية ذلك مبكراً واشتغلت بمختلف أدواتها في تكريس تراجع الوعي السياسي وتغييب دور الأحزاب ومؤسسات المجتمع المدني والنقابات على وجه التحديد، تحسباً منها لإعاقة أو إبطاء عوامل التطور الكامنة في العديد من التجارب السياسية والحزبية العربية، ولا يفوتنا القول إن بعض مؤسسات المجتمع المدني وحتى بعض الأحزاب شاركت هي الأخرى بوعي او بغير وعي في تعطيل مسار التطور السياسي والديمقراطي عبر ممارساتها غير الحصيفة أحياناً كثيرة، وكأنها قد سمحت لنفسها، أن تساهم بطريقة او بأخرى في إضعاف أو إضاعة فرص التطور السياسي التي ربما كانت ممكنة.

ولا يفوتنا أن نشير إلى مسألة تخريب وتشويه دور النقابات التي تتوجس منه السلطات حتى في أكثر الدول تطوراً، علاوة على ارتضاء الكثير من مؤسسات المجتمع المدني والأحزاب أن تبقى واجهات او دكاكين متباعدة ليس الا! في حين يبقى الكثير من المثقفين وقادة الرأي في منأى عما يجري حولهم وكأنهم غير معنيين، بل ويستسهلون احيانا كثيرة القاء اللوم على الأحزاب ومؤسسات المجتمع متذرعين في احسن الأحوال بنكوص وجوه الممارسة السياسية الحزبية الفاعلة، دون الإشارة ببنت شفة لحجم قبضة الإستبداد وسطوة السلطات، ونستطيع متابعة ذلك بوضوح في العديد من تجارب دولنا العربية والإسلامية، خاصة عندما تستعين السلطات بالحالة العامة على المستوى الداخلي أو توظف بمهارة ما يجري حولها من مخاطرمحتملة إقليمياً ودولياً، وعندما تنتشر الحروب والفتن وحالات الاحتقان السياسي وحركات التطرف والإرهاب، لتستحضر هنا حالة من المزايدة السياسية الكاذبة حول ضرورة تماسك الجبهات الداخلية وتعزيز حالة الاستقرار!!

وفي المحصلة يكون الشلل السياسي سيّد الموقف وتتعطل حركة التطور السياسي والممارسة الديمقراطية ويتوقف الزمن تحت مبررات غير موضوعية في أغلبها الأعم، لتتضاءل تدريجيا عوامل الثقة بدور المنظمات والاحزاب والنقابات العمالية، لينعكس ذلك على اداء الأحزاب والمؤسسات والبرلمانات والتي تصبح، وفي ظل غياب الإسناد الجماهيري والحزبي الواعي، وكأنها واجهات من غير مضامين او يراد لها ان تكون تجميلا لواقع عصي على الفهم، مليء بالنفاق تسوده الفوضى وغياب القرار وينخره انتشار الفساد والمحسوبية.

وعلينا ألا ننسى أن تلك المؤسسات الحزبية والمدنية والبرلمانية حتى في ابسط امكاناتها وقدراتها تواضعاً فإنها جاءت نتيجة نضالات وتضحيات وعرق وجهود مضنية لعقود طويلة، ومن المعيب الاستهانة بها او المشاركة بطرق او بأخرى في تقزيم أدوارها، فذلك ما يطمح إليه اعداء الديمقراطية لإعاقة تطور العمل السياسي والديمقراطي في بلدانهم.

النائب يوسف زينل ينضم رسميا لكتلة «تقدّم»

أعلنت كتلة "تقدّم" البرلمانية على لسان النائب عبد النبي سلمان انضمام النائب يوسف زين العابدين زينل إلى الكتلة، علماً أن زينل شخصية وطنية معروفة بتاريخها النضالي، كما يعتبر من النواب المخضرمين في مجلس النواب، حيث سبق ان مثّل دائرته الحالية في برلمان 2002-2006 وكان عضواً فاعلاً في «كتلة النواب الديمقراطيين» آنذاك، والتي دعمها المنبر التقدمي، والتي تشكلت حينها من كل من النائب عبد النبي سلمان والنائب السابق عبد الهادي مرهون، إضافة إلى زينل نفسه.

ويشكل انضمام زينل ل"تقدّم" اضافة نوعية لعمل الكتلة في المرحلة القادمة، حيث يعتبر من الكفاءات القانونية والسياسية المجربة في مجلس النواب الحالي، وسيكون لعضويته في "تقدّم" أثره الإيجابي في تطوير عمل الكتلة.

مطالبة الحكومة بالإعلان التفصيلي عن السلع المعفاة من ضريبة القيمة المضافة

أكدت «تقدّم» البرلمانية على أهمية التوجيهات الحكومية بشأن إلغاء رسوم 200 خدمة حكومية، إضافة إلى إعفاء 220 سلعة من ضريبة القيمة المضافة، والتي تأتي مستجيبة لمطالب مجلس النواب في بداية دور الإنعقاد الأول من الفصل التشريعي الخامس، بضرورة مراجعة قرار تطبيق القيمة المضافة، وهي توجيهات تأتي في توقيتها الصحيح، وسوف تكون لها انعكاسات إيجابية على السلة الاستهلاكية، وتخفيف تكاليف المعيشة المرهقة لشريحة واسعة من المواطنين،

وفي ذات السياق، أكدّت الكتلة على ضرورة إعلان الحكومة بشكل تفصيلي عن ماهية تلك الرسوم والسلع المعفاة من الضريبة، ونشرها للجمهور على وجه السرعة، تحسباً لأي تلاعب من قبل البعض.

من جهة أخرى شددت «تقدّم» على أهمية استمرار نهج الرقابة على أداء الوزارات والجهات الرسمية؛ لمنع أي تلاعب على المستويين الإداري والمالي، وللحد من تلاعب بعض المسؤلين الحكوميين عبر قرارات غير مدروسة أو غير منصفة أحياناً كثيرة، مشيدة بتوجيهات سمو ولي العهد بتشكيل لجنة تحقيق برئاسة وزير الداخلية؛ للتحقيق في الخطاب المتداول لموظفين حكوميين بشأن بعض الأوضاع الإدارية والإجرائية في إحدى الوزارات، الأمر الذي يدعو للتأكيد على متابعة أوضاع ومسار عمل العديد من الوزارات والجهات الرسمية بهدف ضبط الأمور الإدارية والمالية فيها، والتي كثيراً ما تفضحها تقارير ديوان الرقابة المالية والإدارية، أو يجري تداولها مجتمعيا.

وكل ذلك سيساعد على كبح كافة أوجه الفساد الإداري والمالي، -إن وجدت- علاوة على أهمية ومغزى تلك الخطوة المهمة؛ للرقابة على أداء الوزارات والوزراء دون استثناء؛ تحقيقا لمزيد من الانضباط والمتابعة.

بحث ملفات المعلمين العاطلين مع وزير التربية

تابع نواب من كتلة تقدّم البرلمانية وعلى مدى اجتماعين منفصلين قضايا تتعلق بعمل ومسؤوليات وزارة التربية والتعليم. فقد اجتمع النائب عبد النبي سلمان مع وزير التربية والتعليم، للتباحث حولها، ورأسها ملف المعلمين والمعلمات العاطلين منذ سنوات والمتخرجين حديثا في تخصصات سبق أن أعلنت وزارة التربية والتعليم عن الحاجة لسد الشواغر فيها، ومن بينهم خريجو التاريخ والجغرافيا والرياضيات والتربية الرياضية والإحصاء وتكنولوجيا المعلومات والتربية الإسلامية واللغة الانجليزية والكيمياء والفيزياء وغيرها من التخصصات.

يذكر أن وزارة التربية أعلنت عن آلاف المحالين على التقاعد الاختياري وقبيل بدء الموسم الدراسي القادم، ما يعني وجود شواغر كثيرة في مدارس وزارة التربية.

كما تمت مناقشة ملف الخريجين من الجامعات الصينية وضرورة الاسراع في معادلة شهاداتهم، وأيضاً ضرورة اعطاء الأولوية للبحرينيين نساءا ورجالا في مختلف الوظائف التعلمية والادارية.

علما ان تلك القضايا قد اعيد طرحها بشكل تفصيلي وموسع في اللقاء الذي اعقب ذلك مباشرة بين وزير التربية والتعليم وعضو تقدّم النائب سيد فلاح هاشم، في إطار اهتمام تقدّم الكتلة بتبني القضايا اليومية الملحة للمواطنين.

في حديث مع صحيفة «الأيام»

فلاح هاشم ينتقد الثغرات الكبيرة في قانون العمل

انتقد عضو كتلة «تقدّم» النائب سيد فلاح هاشم الثغرات الكبيرة التي تعتري قانون العمل في القطاع الأهلي الذي أقرّته السلطة التشريعية في العام 2012، معتبرًا أن تلك الثغرات منحازه لغير الطبقة العاملة.

وقال هاشم في مقابلة مع جريدة «الأيام»: «إن هناك بعض المواد في القانون جاءت غير متوازنة، خاصّة في موضوع الفصل والتعويضات، على الرغم من التطوّر الذي نصّ عليه القانون في الباب الرابع عشر الخاص بالمفاوضة الجماعية، والذي كان معوّلاً على تطبيقه في أن يسهم في خلق حوار اجتماعي بين أطراف العملية الإنتاجية، إلا أن تطبيقه على أرض الواقع نكاد أن نقول إنه «مجمّد»، أو على أقل ما يُقال في «أضيق الحدود» وفي بعض مواقع العمل، كذلك فإن دور وزارة العمل في هذا الجانب مازال ضعيفًا، وفي معظمه –ومنها الشركات الكبيرة– هذا الحوار متوقف.

وأشار هاشم إلى أن هناك العديد من الثغرات والنواقص في القانون أبرزها غياب مادة تلزم أصحاب العمل بإحلال المواطن البحريني الباحث عن عمل في حال توافره مكان العامل الأجنبي، ووضع أولوية للبحريني إذا ما تبيّن من الكشوف توافر موارد بشرية بحرينية تحمل المؤهلات والكفاءة اللازمة لشغل هذه الشواغر والوظائف، ولذا أصبح من الضروي إضافة ما يلزم بذلك خاصّة بعد تكدّس طلبات التوظيف لدى وزارة العمل.

كما ورد في الفقرة الثانية من المادة السادسة من قانون العمل ما يقضي بإلزام رافع الدعوى بالمصروفات كلها في حالة كيدية الدعوة، وهنا مجال كبير لرفض الدعوة لأسباب قد يجهلها العامل، إذ يتعذر عليه إثباتها، ولذا يجب أن يكون معيار رفض الدعوة هو البحث في غاية الدعوة ومصلحته.

وطالب هاشم بإدخال تعديل على قانون العمل يسمح للأغلبية الكبرى من المواطنين بتنظيم النقابات، إذ أن الاقتصاد البحريني قائم على المنشآت الصغيرة، وهذا التعديل له دور مهم وفعّال في بناء حركة عمّالية نقابية قوية ذات تأثير عال، لها القدرة على دفع الاقتصاد البحريني إلى مزيد من التطوّر والارتقاء، وكذلك بحاجة إلى تعديل يُنهي الجدل حول أحقية عمّال القطاع العام في تشكيل نقاباتهم.

هاشم يبحث قضايا البنية التحتية في خامسة الشمالية مع وزارت الأشغال والتربية والإسكان

استقبل وزير الأشغال وشؤون البلديات والتخطيط العمراني عصام بن عبدالله خلف عضو «تقدّم» النائب فلاح هاشم بحضور وكيل الوزارة لشؤون الأشغال أحمد الخياط ومدير عام بلدية المنطقة الشمالية لمياه الفضالة.

وتمّ خلال المقابلة، بحث عدد من المواضيع المتعلقة باحتياجات الدائرة الخامسة في المحافظة الشمالية، والمتعلقة بطلبات توفير أراضي للمنفعة العامة، وكذلك متابعة موضوع الأرض المخصصة لمركز شباب أبو صيبع. كما جرى بحث حصر الأراضي المخصصة للخدمات في المخططات التي تم اعتمادها مؤخرًا في حدود الدائرة الخامسة بالمحافظة الشمالية من أجل دراسة إنشاء بعض الخدمات عليها.

كما بحثت مشاريع البنية التحتية في الدائرة الخامسة والمتعلقة بتطوير الشوارع الرئيسية، وكذلك تطوير المشاريع الخدمية والبلدية التي تعنى بها الوزارة، وأعمال الصيانة للمشاريع الخدمية القائمة، وتناول اللقاء أيضاً مشاريع الصرف الصحي وخصوصًا في منطقتي مقابة وسار.

وضمن متابعته لشؤون المنطقة زار النائب هاشم فلاح مدرسة أبوصيبع الابتدائية للبنين بمعية مديرة إدارة الخدمات بوزارة التربية والتعليم الأستاذة خلود الكعبي للوقوف على الاحتياجات والنواقص التي تحتاجها المدرسة.

كما بحث هاشم مع وزير الإسكان باسم بن يعقوب الحمر سبل التعاون المشترك فيما يتعلق بالمشاريع الاسكانية التي تنفذها الوزارة.

وتمّ خلال اللقاء استعراض مستجدات المشاريع الإسكانية في مدن البحرين الجديدة، والبحث في إمكانية إيجاد الحلول لتوفير أراض؛ لتلبية الطلبات الإسكانية في الدائرة، فضلاً عن سياسة الوزارة في تلبية الطلبات الاسكانية على مستوى المملكة.

عبدالنبي سلمان: تساؤلات حول خطط البحرنة بمبنى المسافرين الجديد

طرح عضو كتلة «تقدّم» النائب عبد النبي سلمان تساؤلات حول خطط وزارة المواصلات والإتصالات في ضوء ما أعلنته الوزارة مؤخرا حول استيعاب مبنى المسافرين الجديد بمطار البحرين الدولي لأكثر من 5800 موظف، أجرت الوزارة حتى الآن تدريبات مكثفة لأكثر من 1300 منهم، دون أن تفصح عن نسبة البحرنة في مشروع التوسعة هذا، مما استدعى تساؤلات من الكتلة وتواصلاً مع الوزارات المعنية ومن بينها وزارة المواصلات ووزارة العمل وكذلك لجنة التحقيق البرلمانية بشأن البحرنة، ويتطلع الرأي العام البحريني بأمل إلى التطمينات التي قدمتها كل من وزارة المواصلات وشركة اسري بالمضي في رفع نسبة البحرنة، بحسب اعلان الشركة لتصل إلى أكثر من 90٪، وهو ما يجب أن يخرج من دائرة الوعود ويتحول إلى واقع.

ومن جانبها أعلنت «تقدّم» أنها ستواصل متابعة ملف التوظيف بمبنى مطار البحرين الجديد عن كثب ولن تسكت عن أي تلاعب في عملية التوظيف وستسخر ما هو متاح من أدوات رقابية برلمانية لتحقيق ذلك.

محطات

يحررها: خليل يوسف

سوق الفتنة

سوق الفتن واضح وبمنأى عن الركود، هو عكس كل الأسواق منتعش، له صنّاع، منتجون، ومسوّقون، ومروّجون، وموتورون فى صناعة هذه الفتن، بجهل أو مآرب أو سفاهة أو مصالح. يفعلون ذلك والهدف شق الصف الوطنى، او استنفار صراعات تستنزف المجتمع، أو اثارة النعرات الطائفية والمذهبية، او من أجل استثمار سياسي يؤزم ويؤجج النفوس ويفتح الباب للمساس بقيم الاعتدال والعيش المشترك.

بالوعي والفطنة يمكن إعادة الأمل إلى النفوس وعودة ما كان، أو بعض ما كان، وكلنا يذكر ما كان وما كنا عليه ..!

ثمن الوطنية

هناك من يراد أن يَفرضوا أنفسهم أو يُفرضوا علينا كأبطال، ونهلل لهم كونهم رموزاً فى الوطنية، وقامات فى ولائهم للوطن وقيادته، فيما هم هم فى الحقيقة والواقع أبطال من ورق، والوطنية عندهم انتهازية، وكل شئ عندهم بثمن. إنهم يجسدون واقعاً مأساوياً بالصوت والصورة ..!

سؤال بريء

لماذا يهيمن السطحي والشكلانى على الكثير مما يجرى حولنا، أين «أهل النظر» ، هل فقدوا الأمل ..؟!

اضاءات

ما أعظم بؤس واقعنا عندما يراد لنا أن نصدق ما لا يمكن تصديقه، أو نصدق ما نكذبه نحن ..!

علينا أن نتنبه ونحذر، هناك من يلّوح لنا بالسئ من أجل أن نقبل بالأسوأ، فيما نجد أن الأخطاء لو صوبت فبأخطاء أفدح ..!

عبث، وأي عبث، إشاحة النظر عن الهوة التى تزداد إتساعًا بين القول والفعل، بين الشعارات التى تطرح والواقع الملموس، بين إخفاقات مطلوب منا أن ننظر إليها على أنها انجازات..!

المعضلة فى مشاكلنا، لا تكمن فى أنه لا يوجد حلول لها، بل أن المعنيين بالحلول إما إنهم لايريدونها أو أنهم أعجز من ايجادها، أو أنهم الأساس فيما نعانيه من مشكلات..!

من بين اكثر ما نحتاج اليه اليوم تغيير أنماط الرؤية، وطريقة التفكير وقواعد العمل والبناء، بقدر ما نحتاج إلى نماذج جديدة بعقلية جديدة، عقلية تقود إلى الخلق والابتكار والتحول، وليس عقلية استنفذت نفسها ولم تعد تنتج سوى المراوحة، والمعضلات الشائكة التى تبقينا عند نقطة الصفر لا نعرف متى نغادرها بالرغم من كل الشعارات البراقة ..!

بحرينى غير مقهور

البحرينى غير المقهور هو بحرينى غير موجود، عبارة رددها أحدهم فى الفضاء الإليكتروني، وهى عبارة تستحق التمعن فيها والتأمل فى معانيها.

الفساد والكذبة الكبرى

سئ، بل بالغ السوء حين تكون شعارات محاربة الفساد مجرد كذبة كبرى من أجل ممارسة المزيد من الفساد، وجرائمه، وهى جرائم لا تسقط بالتقادم. وقمة السوء حين يتحول الفاسد إلى "نموذج" و"قدوة"!

إسرائيل غدة سرطانية

عجيب وغريب ومؤلم، ومخزٍ ومزعج وصعب، وباعث على قدر كبير من المرارة حين نجد من بات من العرب من يعد اسرائيل «مرهم علاج «، بدلاً من أن تكون «غدة سرطانية»، حين يراد التمهيد لأن تصبح اسرائيل دولة صديقة، إن لم تكن دولة شقيقة، وهنا يمكن أن نستحضر قول الشاعر محمود درويش "أرفض زمان العهر" ..!

المواطنة والقوى الوطنية في البحرين:

تحديات مشروع الدولة الحديثة (١– ٢)*

غسان الشهابي

التجربة البحرينية: من البذور إلى نقيضها

يرجع عدد من الباحثين في الشأن السياسي البحريني إلى أن أكثر الصور جلاء في تعبير البحرينيين عن مسعاهم إلى المواطنة، كانت قد تمثلت في صورتين متناقضتين، كان أكثرها وضوحاً ما جري في عهد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة (حكم من 1869 إلى 1932)، وبالتحديد في العقد الثاني من القرن العشرين، حينما وقعت خلافات متكررة بين القبائل الموالية للعائلة الحاكمة والشيعة تحديداً، إذ يذكر المعتمد البريطاني في البحرين الميجور ديلي في تقرير رفعه إلى المقيم السياسي في بوشهر (يوليو 1922) أن قبائل الدواسر تحديداً التي ترفض دفع ضرائب مباشرة إلى الحاكم، جرى السكوت عنهم وأطلقت أيديهم لفعل ما يشاؤون في «الفئات الأخرى»، ويقصد بهم الشيعة، الذين رفعوا على إثره طلباً من ولي العهد – المقرب من الإنجليز – للتدخل لوقف التعديات، بالإضافة إلى الكثير من العرائض التي رفعها الشيعة إلى المعتمد البريطاني ومستشار الحكومة بعد ذلك، كما رفعوا عرائض مشابهة إلى حكومة «صاحبة الجلالة» مباشرة.

وفي المقابل، كتب بعضٌ من وجهاء السنّة عريضة رفعوها إلى شيخ البحرين عيسى بن علي آل خليفة في 1923، مطالبين إياه أن يبقى في الحكم، وأن يكون النظام قائماً على الشريعة والمساواة، وإقامة أو تأسيس برلمان منتخب يراعي مصالح الناس ويناقش الأمور الخاصة التي تشمل تشكيل المؤسسات واللجان.

وتشير الوثائق البريطانية، وخصوصاً المراسلات من قبل البريطانيين الذين كانوا يديرون شؤون المنطقة، إلى إنهم يرون أن الموضوع في البحرين يرتكز على وجود طائفتين تريد كلّ منهما أن تقتنص لنفسها المزيد من المكاسب، ولم تكن هذه العرائض لتتحدث عن عموم شعب البحرين، بل كانت المطالبات فيها أقرب ما تكون إلى الفئوية، وإن اكتسى بعضها لبوس العمومية، أو كانت المفردات تشير إلى العموم، ولكنه كان العموم في الخصوص ليس أكثر.

بقي الشأن الطائفي من الشؤون المقلقة في الوضع العام المحلي على مدى العقود التالية، حتى مع انتشار التعليم، وبدء التقاء المواطنين ببعضهم البعض في صيغ عملية أكثر استقراراً من تلك التي شكا منها الشيعة – على وجه الخصوص – والمتعلقة بمزاعم الظلم الذي يقع عليهم في ممارسة مهنة الزراعة، حيث سبق للعرائض الشيعية أن نصّت على هذا الأمر، إلى جانب شكاية الغواصين بشكل عام من سوء المعاملة، وذلك حين التقى الطرفان للعمل في شركة نفط البحرين المحدودة (بابكو)، وبدأ أهالي القرى يرسلون أبناءهم للتعلم في العاصمة المنامة. فقد بقي التوتر الطائفي يطل برأسه في المنعطفات المختلفة من العقود التالية، حيث يرد في مجلة «صوت البحرين» الشهرية مقال بعنوان «الطائفية علتنا الكبرى» موقع باسم مستعار (ابن ثابت)، وقد تم التطرق إلى هذا الموضوع بين ثنايا المجلة، التي استمرت في الصدور أربع سنوات قبل توقفها في أغسطس 1954، أي قبل شهر واحد تقريباً من وقوع حادثة الاحتكاك الطائفي الشهيرة في المحرَّم من العام 1374 هـ، والذي أدى إلى نشوء هيئة الاتحاد الوطني.

تداخل مع «هيئة الاتحاد الوطني» نشوء الحركات السياسية بشكلها الحديث تنظيمياً، فظهرت جبهة التحرير الوطني البحرانية سنة 1955، وقد كان أساسها من العمال المنخرط أكثرهم ضمن هيئة الاتحاد الوطني، ولكنهم انفصلوا عن الهيئة في سنتها الثانية، و«عملوا مع خلايا حزب «توده» الإيراني على تشكيل خلايا للجبهة»، ومن بعدها بسنوات قليلة ظهر تنظيم البعث (1958)، فالتيار القومي (1958–1959)، ثم الجبهة الشعبية (1968)، وكان ذلك مدفوعاً بانتشار التعليم، وانتشار وسائل التواصل، ومن أشهرها المذياع الذي قرّب كثيراً بين البلاد العربية في نزوعها للتحرر في الخمسينات، خصوصاً «حين تفجّر المدّ القومي وصاحب ذلك في الوقت نفسه، نزوع بعض أقطار المنطقة، التي كانت أسبق من غيرها في مضمار التعليم والثقافة والوعي، إلى تحدّي الهيمنة الاستعمارية المباشرة، والبحث عن خلاص منها، فتلاقى نزوعهم إلى التحرر من الهيمنة الاستعمارية مع تفجر المدّ القومي، وتمثّل ذلك بصورة أكثر وضوحاً في البحرين».

في بدايات العقد السابع من القرن العشرين، بدأت تتضح ملامح تشكيلات الإسلام السياسي الشيعي الذي بدأ في الظهور وأخذ مشروعه في التبلور، حتى صارت له كتلة في أول مجلس وطني منتخب (1973– 1975)، وبدأت أطراف من هذا التيار تظهر بشكل أكثر جلاءً مع انتصار الثورة الإسلامية في إيران، لتبدأ حقبة جديدة في مواجهات السلطة التي انتهت تقريباً من التيارات القومية واليسارية والشيوعية والبعثية حتى بدايات العقد الثامن من القرن العشرين، حيث أصبحت أهم رموزها تعمل من خارج البلاد، والتفتت السلطة إلى الإسلام السياسي الشيعي لمدة عقدين كاملين من الزمان امتدا من 1979–1999.

في هذا الوقت، كانت التنظيمات السنية قد اتخذت هيئة جمعيات دعوية وتربوية وخيرية، وكانت تنأى عن العمل السياسي، حتى تتالى ظهورها إبان الإقرار الشعبي لميثاق العمل الوطني (فبراير 2001)، وعلى ضوء حزمة من التغييرات والإصلاحات السياسية العامة، تأسست في البحرين 15 جمعية سياسية، يهمنا منها هنا الجمعيات المدنية، أي غير الدينية المنشأ، أو ما يمكن تسميته بالوطنية، مع ما لنا على هذا التصنيف من مآخذ أيضاً، وهي:

– جمعية العمل الوطني الديمقراطي (وعد): يسار/ قومي معارضة 2001
– جمعية التجمع القومي الديمقراطي:

يتبع

يتبع

بعث/قي معارضة 2001
– جمعية المنبر التقدمي الديمقراطي: يسار/شيوعي معارضة 2001
– جمعية ميثاق العمل الوطني: ليبرالي موالاة 2001
– جمعية التجمع الوطني الدستوري: ليبرالي موالاة 2001
– جمعية الإخاء الوطني: ليبرالي معارضة 2002
– جمعية التجمع الوطني الديمقراطي: ليبرالي موالاة 2002
– جمعية الفكر الوطني الحر: ليبرالي موالاة 2002

مارست الجمعيات السياسية عملها على مدى السنوات الممتدة من 2001 وحتى ما بعد أحداث العام 2011، حيث حلّ القضاء البحريني بعضاً من الجمعيات السياسية الدينية (أمل والوفاق)، و»وعد» من الجمعيات غير الدينية، فيما قامت بعض الجمعيات غير الدينية بحلّ نفسها، لصعوبات مالية وأوضاع سياسية مختلفة في الفترة نفسها، في حين نشأت في العام 2011 جمعية تجمع الوحدة الوطنية إثر تحالف عدد من الجمعيات الدينية السنية، وجمعيات قريبة منها، وشخصيات مستقلة، لمناهضة ما كان يجري على الضفة الأخرى من الحراك الشعبي الذي تشكل أساسه من التيارات المعارضة بمختلف تلاوينها، إلا أن القيادة والثقل كانت للجماهير ذات التوجه الديني الشيعي والجمعيات السياسية المحسوبة على هذا التيار، إضافة إلى تيارات غير مرخصة كحركة (حق) و(الوفاء).

الجمعيات السياسية المدنية في البحرين: كيف تفهم المواطنة وكيف ترى ما تفهمه الدولة وتطبقه

أجرى الباحث لقاءات مع قيادات خمس من الجمعيات السياسية المدنية في البحرين لاستجلاء نظراتها من تجليات المواطنة في أدبياتها، ونظرتها لتطبيقات المواطنة في الواقع، وإلى أي مدى ترى هذه الجمعيات أن الأوضاع التي تعايشها تقترب من مفاهيمها في هذا الشأن، وكيفية الوصول إلى ما ترجوه من ممارسات عامة لمفهوم المواطنة.

وتحت العنوان الفرعي أعلاه، تستعرض الورقة جانبين: ما ورد في أدبيات الجمعيات السياسية التي تمت محاورة قياداتها من تعريفات وتجليات للمواطنة كما تفهمه هذه الجميعات، والجانب الآخر، هو استطرادات عدد من مسؤولي هذه الجمعيات في معاني المواطنة، وكيفيات تطبيقها على الأرض من قبل الدولة في الأساس ومن قبل الجمعيات أنفسها.

أولاً: المواطنة كما في الأدبيات

تحتوي أدبيات الجمعيات السياسية البحرينية – بشكل عام – على إشارات واضحة أو ضمنية لمصطلح المواطنة، بعضها نصّت عليه نصاً، وبعضها أشارت إلى تجلياته في ثنايا طرحها. وقد تقاربت الرؤى بشكل كبير في صياغة البرامج السياسية للجمعيات التي تمت مقابلة ناشطيها، حيث لم توجد جمعية من الجمعيات الخمس إلا ونصّت على المفاهيم الأساسية للمواطنة، إما كإيمان بها، أو للمطالبة بها.

ولا غرو أن الجمعيات السياسية كما الدول في صياغتها دساتيرها، إنما تلجأ للنصوص التي لا خلاف عليها، والتي لا تكاد تشير إلى نقاط الخلاف السياسي في توجّهات الجمعيات المختلفة عقائدياً وسياسياً، وقرباً من السلطة وبعداً عنها. فجميع البرامج السياسية تشير إلى إيمان الجمعيات بالعدالة الاجتماعية، وتكافؤ الفرص، والشفافية، ومحاربة الفساد والفقر، وتمكين المرأة ومنح الأطفال الرعاية، وتوفير فرص الحياة الكريمة للمواطنين. إلا أن للجمعيات المعارضة نقاطاً تنصّ عليها صراحة من مثل: التداول السلمي للسلطة، والتوظيف في جميع القطاعات وخصوصاً العسكرية منها والترقي فيها، والنقطتان الأخيرتان مثار جدل واسع في العقود الأخيرة في شأن توظيف الشيعة (خصوصاً) في المؤسسات العسكرية، وعدم ترقيهم فيها إن تم توظيفهم. في العام 2005، أصدر المنبر الديمقراطي التقدمي برنامجه السياسي، وضمّن هذا البرنامج – المؤلف من 88 صفحة، والذي يحدد الهوية السياسية–الفكرية للمنبر – عناوين تندرج تحتها أهم قواعد المواطنة، ومن أبرزها:

– التداول السلمي للسلطة وفق قواعد العملية الانتخابية.
– تفعيل واحترام الحقوق والحريات والواجبات العامة، وفي المقدمة منها حرية الرأي.
– حرية تكوين الجمعيات والنقابات والأحزاب السياسية، وحق الاجتماع العام والخاص.
– حق المشاركة في الشؤون العامة والتمتع بالحقوق السياسية وأن الشعب مصدر السلطات جميعاً.
– الناس سواسية في الكرامة الإنسانية وأمام القانون، لا تمييز بينهم في الحقوق والواجبات بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة.
– تكريس الحياة الحزبية في البلاد عبر وضع قانون للأحزاب السياسية.

وورد في كتيب أصدرته جمعية العمل الوطني الديمقراطي (وعد) أن المواطنة تأتي «من اعتبار الشراكة هي الرابط الرئيس في الوطن دون غيرها من الروابط الإنسانية الأخرى في الدين أو المذهب، أو الرابطة القومية، مصدر حقوق المواطن ومناط واجباته في الدولة»، وتشير الجمعية إلى أن المواطنة تتركز في «المساواة بين المواطنين من دون تمييز بحسب الدين أو الجنس أو العِرق أو اللغة، وكذلك المساواة في الحقوق والواجبات والحرية والمشاركة في الحياة العامة».

ويرد في النظام الأساسي لجمعية العمل الوطني الديمقراطي (وعد):

– الدفاع عن الحريات العامة والشخصية.
– تبنّي مطالب العمال والمستخدَمين والشرائح الاجتماعية الفقيرة والفئات المهمّشة والمحدودة الدَّخل.
– توفير فرص العمل المتكافئة والأجر العادل لكلّ مواطن في سوق العمل دون تمييز أو تفرقة.

– التمسُّك بالمواطنة المتساوية ونبذ الطائفية وكافة أشكال التمييز.
– تجريم الممارسات التي من شأنها المساس بكرامة المواطن وحريته، والدفاع عن حقه في تبوُّء كافة المناصب في الدولة والمجتمع على أساس الكفاءة.
– المشاركة الكاملة للمرأة في عملية التنمية، ودعمها وتمكينها في مواقع صنع القرار، ومحاربة كافة أشكال التمييز ضدها.
– تعزيز دور الشباب في صناعة مستقبل الوطن.

كما جاء في البرنامج السياسي لجمعية ميثاق العمل الوطني:

– السعي إلى ترسيخ مفاهيم الحكم الرشيد والمشاركة والمساءلة وسيادة القانون.
– احترام القيم الروحية، وحرية الدين والمعتقد.
– احترام العقل، والإيمان بالحوار، وبحق الآخرين في الاختلاف في الرأي.
– تركيز دعائم التضامن الاجتماعي والوحدة الوطنية والعمل على حماية جميع حقوق الإنسان.
– نبذ الطائفية، والقبلية، ومحاربة التمييز بجميع أشكاله وأنواعه، وتحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص بين المواطنين.
– بلورة برامج عملية ذات أهداف اجتماعية تمس بشكل أساسي الطبقات الفقيرة.
– النهوض بالمرأة وتمكينها من حقوقها، وتعزيز مكانتها ومشاركتها في جميع المجالات.
– تعزيز العناية بالطفولة والشباب، والتصدي للمشكلات والتحديات التي تواجههم.

وجاء في البرنامج السياسي للتجمع القومي الديمقراطي:

– الدفاع عن حقوق المواطنين في التقدم والحياة الكريمة ونشر مبادئ العدالة والتنمية الاقتصادية والاجتماعية.
– ترسيخ الوحدة والقيم الوطنية والتسامح واحترام الرأي الآخر، والتعددية السياسية في الفكر والرأي والتنظيم

يتبع

– ترسيخ مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص بين المواطنين ومحاربة الطائفية والطبقية والعرقية وغيرها.
– الدفاع عن الحريات العامة وحمايتها كحرية التعبير والاجتماع والاعتقاد والنشر.
– نيل حقوق المرأة في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمل على إيجاد التشريعات والمؤسسات التي تكفل هذه الحقوق.

ومن أهداف العمل السياسي للجمعية «تعميق وتعزيز مبدأ المواطنة القائمة على احترام حقوق المواطن السياسية والمدنية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، والمرتكزة على المساواة بين المواطنين وتجريم التمييز الطائفي والمسؤولين عنه»، و»ضرورة السماح لكل المواطنين بكافة طوائفهم وانتماءاتهم في الالتحاق بجميع الوظائف الحكومية المتاحة»، والدعوة «إلى تبني سياسات حكومية تقر بخطورة تفشي ظاهرة الفقر والإقصاء».

ثانياً: الحوار في المفاهيم والتطبيقات

تستجلي الورقة ما يقرّ من مفاهيم حول المواطنة لدى الجمعيات السياسية المدنية في البحرين، بين المنصوص عليه في الأدبيات وما يقرّ في نفوس متخذي القرار فيها، وهنا تتبدى جملة من الاختلافات التفصيلية بين هذه الجمعيات الأمر الذي يبرر تباينها الفكري، ولكنها تعود لتلتقي في معظم النقاط المشتركة التي يصعب الاختلاف عليها.

فالمواطنة كما يفهمها قياديو «وعد» تتمثل في «الدولة المدنية الديمقراطية، التي لا تميّز بين أبنائها، وتنظر إلى المواطن بصفته شريكاً، ليست له أية علاقة أو أفضلية بسبب الانتماءات المختلفة، بل مواطن له حقوق وعليه واجبات، فهي دولة المؤسسات والقانون الذي يعبّر بشكل عادل عن تطلعات الناس ويعبّر عن المبدأ الشهير: الشعب مصدر السلطات جميعاً».

بينما في التجمع القومي تتم الإشارة إلى ما هو أوسع من حدود القُطر الواحد متجهة إلى الوطن العربي بأسره: «لا نعتقد أن المواطنة يمكن أن تتحقق إلا في ظل الأقطار العربية باعتبار الأهداف العريضة وهي: الوحدة والحرية والاشتراكية – التي يُعبّر عنها اليوم بالعدالة الاجتماعية – وبتحققها تتحقق المواطنة الحقيقية. ففي ظل تجزئة الأقطار العربية فإنها تتعرض أكثر من غيرها للظلم والاضطهاد وابتزاز الدول الكبرى، والتي تنعكس بشكل أو بآخر باستلاب حقوق المواطن. (...) التحرر من التبعية للقوى الأجنبية، تعني أيضاً الحرية الداخلية، أي ممارسة الديمقراطية. والاشتراكية هي وجه العدالة الاجتماعية، وهي ضرورة لتحقيق العدالة للمواطن، وهناك ارتباط وثيق بين تحقيق هذه الأهداف كاشتراطات استرجاع المواطن كل حقوقه ليغدو كامل المواطنة. والوحدة العربية ليست ذات وجه سياسي وحسب، بل تعني أيضاً قوة العرب ومنعتهم وكرامتهم على الساحة السياسية وتحررهم، وكلها متعلقة بالمواطنة، لأن كرامة الوطن من كرامة المواطن، والعكس».

أما المواطنة – في رأي «التقدمي» – فهي «مفهوم شامل لا يقوم على العقد، ولا يعطي امتيازاً إلى طائفة أو فئة أو قبيلة أو ما أشبه. وحتى إن وقع في السياق التاريخي ما يشير إلى حدوث إخلال بالأسس التي تقوم عليها المواطنة، فإننا ننظر إليه على أنه خلل في التطبيق».

وتذهب «وعد» خطوة أخرى في بيان أهمية «علمانية الدولة» – بالمعنى العلمي للعلمانية وليس الأيديولوجي – «لأن تحييد الدولة في مسألة الدين أمر مهم، بحيث يتساوى الناس أمامها بصرف النظر عن معتقداتهم، ويأتي بالتوازي تحييد الدولة أمام الانتماءات الأخرى، كالمذهب والطائفة والعرق والقبيلة، وهنا تأتي الشرعة الدولية التي تحكم هذه الروابط».

تشير الحوارات مع القوى السياسية البحرينية إلى أن التاريخ المعاصر يحمل في طياته تجليات متباعدة لتحقق مفهوم المواطنة جزئياً على المستوى الجماهيري، وذلك في التقاء الطائفتين في «هيئة الاتحاد الوطني» حيث شكلت تطوراً كبيراً على الفئوية والمذهبية التي كانت سائدة من قبل، وصار لأول مرة لشعب البحرين «كيان» واحد، وطني جامع.

أما راهناً، فلقد كان هناك اتفاق ما بين جميع الأطراف السياسية التي رأت أن فترة إعداد ميثاق العمل الوطني وحتى مضي عام كامل على إقراره (ديسمبر 2000 – فبراير 2002) من المحطات الأهم التي تجلت فيها مفاهيم المواطنة إلى الدرجة التي يمكن ملاحظتها بوضوح، حيث كانت الأجواء مفعمة بالآمال، والغالبية مقبلة على شكل جديد للدولة، إذ لم يكن مصطلح «المواطنة» وتجلياته بالأمر الغريب على فكر «التقدمي»، ولكن هذا الأمر تعزز منذ الفترة التي كان فيها المجتمع البحريني برمته يتداول مسألة ميثاق العمل الوطني. استطاعت السلطة السياسية في فترة ما أسمي بـ «سنة الإصلاح» إحداث تأثيرات كبيرة في المجتمع البحريني على مستويات عدة، ومنها المستوى السياسي، الأمر الذي نتج عنه مكاسب معيشية للمواطنين وتقارب سياسي واجتماعي ملحوظ في تلك الفترة، حيث كثرت الزيارات المتبادلة بين الفاعلين والقياديين من المذهبين الرئيسيين في البلاد (السنة والشيعة)، وإقامة المحاضرات السياسية المشتركة، فـ»مقارنة وضع المواطنة ما بين 2002 وما قبلها، كان هناك حراك جيد ما بين أربع سنوات إلى ست سنوات لبناء مفاهيم المواطنة، والمؤسسات وغيرها»، والأسباب ليست عاطفية تتمثل في الخطوات التي قام بها ملك البلاد في تلك الفترة لحشد التأييد لميثاق العمل الوطني والتصويت بـ «نعم» كبيرة عليه، وحسب، ولكنها أسباب جوهرية أيضاً في صلب الميثاق: «فلو رجعنا إلى ميثاق العمل الوطني بما تضمنه من مبادئ دستورية واقتصادية واجتماعية وسياسية، سنجده يتضمن الكثير من التعبيرات الحقيقية عن المواطنة. فعلى صعيد التأطير النظري للمواطنة، يعتبر «الميثاق» مرجعية نظرية جيدة، وإذا ما نظرنا إلى ما صوّت عليه الناس بنسبة 98.4٪ للميثاق، فإنه بالإمكان القول إن لدينا وثيقة قوية صوّت الناس على ما ورد فيها من حقوق. وجاء في الميثاق ما يفيد وجوب معاملة الجميع بشكل عادل بغضّ النظر عن أي اختلافات، فهم متساوون أمام القانون، لهم حقوق وعليهم واجبات، ولا شيء يحكمهم غير القانون، وهذه هي دولة المواطنة بشكلها الصحيح».

أدّى الحماس المنقطع النظير للعمل السياسي في البحرين، وخصوصاً لقرب الاستحقاق الانتخابي في 2006، وتوجه الجمعيات السياسية التي قاطعت الانتخابات في 2002 إلى قيام جمعية ميثاق العمل الوطني إلى الدعوة إلى التنسيق بين الجمعيات السياسية، وتكررت الاجتماعات وتطورت إلى إقامة مؤتمر في أحد فنادق العاصمة، وكان موضوع «الانتماء الوطني» حاضراً بأوراق عمل قدمتها الجمعية، ولكن «تصاعد وتيرة العنف التي قادتها جمعية الوفاق الوطني الإسلامية (شيعية) ضد موضوع التجنيس، وتهييج الشارع، وعقد المؤتمرات التي كانت تشحن في اتجاه وقوع صدام في الأعوام ما بين 2007 و2009، أسهمت في وأد مشروع تعميق البحث في موضوع مهم كالمواطنة على مستوى القوى السياسية الفاعلة، وبقيت «المواطنة» موضوعاً مناسباتياً للطرح بين فترة وأخرى»، بحسب رأي أحمد جمعة.

«ولكن تبقى المشكلة القائمة في الهوّة بين الفكرة والتطبيق»:هذا الاستدراك الذي يقدمه العالي، وهو على رأس جمعية معارضة، هو نفسه الذي قاله الباكر وقد رأس جمعية موالية (بحسب تصنيفه) حين قال: «من بعدها (السنوات الأولى) بدأ تراجع فيما يتعلق بالمواطنة والطموحات التي يتمناها المواطن، وإلى اليوم لمسنا هذا التراجع الكبير في المبادئ والأسس وما ورد في الميثاق والدستور، والتي على أسسها أسست الجمعيات. وصار اليوم الوصول إلى المواطنة الحلم ضرب من الخيال».

---

*جزء من دراسة للباحث بعنوان: «المواطنة والقوى الوطنية في البحرين والكويت: تحديات مشروع الدولة الحديثة»، تضمّنها كتاب: (الثابت والمتحول ٢٠١٩ المواطنة في تيارات الخليج)، الصادر عن مركز الخليج لدراسات التنمية، ولأسباب فنية خاصة بمساحة النشر تمّ حذف الهوامش التي يمكن العودة إليها في الأصل.

في ذكرى رحيل المناضل أحمد الذوادي.. بعد ١٧ عام من النشر:

مقـــال مـــا زال يحتفـظ بكامـل أهميتـه

في ذكرى رحيل المناضل أحمد الذوادي تعيد «التقدمي» نشر مقال للفقيد كتبه بعد انعقاد المؤتمر العام الأول للمنبر التقدمي في ديسمبر ٢٠٠٢، وهو مقال ما زال يحتفظ بكامل أهميته رغم انقضاء كل هذه السنوات على تاريخ كتابته.

«التقدمي»

أحمد الذوادي

انعقاد المؤتمر العام الأول لجمعية المنبر الديمقراطي التقدمي، بعد مرور عام على ممارسة الجمعيات السياسية لدورها في الحياة السياسية العامة للمملكة، يعتبر أول امتحان عملي لعهد الانفراج السياسي الذي دشنه جلالة ملك البلاد بإعلانه البدء في مسيرة الاصلاح السياسي. ذلك أن عقد المؤتمرات العلنية المفتوحة للقوى السياسية الفاعلة في المجتمع، إنما هو تطبيق عملي للانفراج السياسي الذي تدشن منذ مجئ عهد الاصلاح والتوجه نحو إقامة المجتمع الديمقراطي المؤسساتي التعددي في بلادنا، ويعني كذلك تكريس وتثبيت للعملية الاصلاحية ومكتسباتها .

لقد سادت المؤتمر روح الأجواء العامة التي تسود بلادنا، من حرص على الوحدة وشعور بالمسئولية الوطنية والتنظيمية ورغبة صادقة في الوصول إلى تحقيق أهداف جمعية المنبر بأن تكون جمعية قادرة على الاسهام في دفع عملية الاصلاح والتجديد في بلادنا إلى أمام، وحريصة على حماية ما تحقق من مكاسب ومنجزات طيلة السنوات القليلة الماضية وترسيخها وتنميتها وصولاً إلى المزيد من المنجزات والمكاسب.

يسجل لهذا المؤتمر، بالاضافة لما سبق، أنه حقق خطوات تشكل ظاهرة صحية في حياة الجمعية السياسية، أي جمعية سياسية، وذلك بتجديد مجلس الادارة إذ لم يضم مجلس الادارة الجديد سوى عضو واحد من الادارة السابقة. وأكدّ بذلك أن من الممكن أن يخلو مجلس الادارة الجديد من الوجوه القديمة، ومن أولئك الذين اصطلح على تسميتهم بالرموز. ويعني ذلك أن مجال العمل السياسي لأي عضو من أعضاء الجمعية لا يقتصر على الإدارة فقط، فهناك مجالات عديدة توفرها أنشطة لجان الجمعية المتخصصة وغير المتخصصة، تحتاج إلى جهود كل عضو من أعضاء الجمعية كبيراً كان أم صغيراً.

لم يمض سوى عام واحد أو أكثر قليلاً منذ إشهار جمعية المنبر الديمقراطي وغيرها من الجمعيات السياسية. وقياس العام في عمر الزمن والمؤسسات والبلدان لا يزيد عن كونه قطرة في بحر، لكن هذا العام في تاريخ البحرين، كان مختلفاً في عمره وسماته وأحداثه عن أي عام مضى.. فقد كان حافلاً بمتغيرات وقرارات واجراءات عملية في مختلف النواحي، كان زاخراً بالنشاطات السياسية والثقافية والاجتماعية .. بالمؤتمرات والندوات والمهرجانات .. وكان زاهياً بالأعياد والاحتفالات، وكان عام الانتخابات البلدية والنيابية.

عندما ذكرّنا التاريخ بأن عاماً على انغماسنا في النشاط والعمل السياسي العام قد مضى، كان بمثابة المفاجأة .. لأننا لم نتخيل أن ما مضى هو عام فقط .

بطبيعة الحال لم يكن ذلك العام الفريد، كله منجزات وإيجابيات ومكاسب فقط، على أهمية وكبر واتساع ما حفل به .. ولم تكن كل ممارسات الجمعيات السياسية على اتساعها وتعددها كلها ايجابيات ومنجزات كذلك، لكن ما تحقق على الصعيدين رغم كل شئ، شئ كبير وبالغ الأهمية.

لقد شهد هذا العام فيما شهد، تعيينات كثيرة، لعل أهمها كان تعيين أعضاء مجلس الشورى، كما شهد تغييراً وزارياً محدوداً .. كان أبناء البحرين الذين عايشوا انطلاقة عهد الانفراج والاصلاح، ولمسوا العديد من المتغيرات، كانوا ينتظرون أن تأتي تلك التعيينات على غير ما جاءت به، لكي تتفق مع حجم تلك المتغيرات ومع سماتها وانعكاساتها وتأثيراتها الحالية والمستقبلية.

كانوا، مثلاً، يتوقعون أن تأتي تعيينات مجلس الشورى بأناس يتمتعون بمواصفات وامكانيات أقوى وأقدر من بعض ممن عينوا، مع احترامنا الشديد للجميع ، حتى يتوازن فعل مجلس الشورى مع مجلس النواب الذي جاء هو الآخر بأشخاص يتمتعون بمواصفات وامكانيات هي أقل مما تتطلبه المرحلة.

وكنا جميعاً نتطلع إلى تشكيلة مجلس الوزراء الجديدة، لتأتي بما يتناغم مع عهد ما بعد ميثاق العمل الوطني، ومع متطلبات المسيرة الاصلاحية الكبيرة الهادفة إلى بناء نظام ديمقراطي تعددي يتمثل بما تحفل به الديمقراطيات العريقة، ولتتمكن من حمل عبء مواجهة الفساد المالي والاداري ومكافحته، كما أكد ذلك جلالة الملك في خطاباته وتصريحاته، وحرص على تكرار ذلك التأكيد في خطاب افتتاح المجلس الوطني .

مجتمعنا يزخر بكوادر وقدرات شابة كفؤة وقديرة، بامكانها أن تتناغم مع متطلبات عهد الاصلاح والتجديد، وتستجيب لاستحقاقاته، وتجدد دماء السلطة التنفيذية التي مضى على استمرار بعض أعضائها عقود من الزمن تتعدى الثلاثة عقود، وهي فترة تكفي لاستنفاد طاقات الانسان، واكتمال الاستفادة من عطائه الذي تجف منابعه بفعل مرور الزمن الطويل .

ومع ذلك ، فنحن لسنا ممن يجمد مكانه أمام ما يحدث، لاعتقادنا بأنه مثلما صدرت مثل هذه التعيينات أو القرارات أو حتى القوانين، يمكن أن يصدر غيرها، أفضل منها، وأقرب إلى تطلعات مواطنينا ، أصحاب المصلحة المباشرة بكل ما يحدث في وطنهم، ما دام العزم على مواصلة مشوار التجديد قائماً، وما دامت النوايا الطيبة متوفرة لدى أطراف المجتمع، حكماً وشعباً ومؤسسات .

ويمكن أن يتم مثل هذه الأمور، إذا ما جرى بحث ودراسة ما صدر دراسة علمية واقعية، وأوضحت مثالبها وقصورها، وتم الارشاد إلى الشئ الصحيح والشخص المناسب، ليكون في المكان المناسب، الشخص المناسب بكفاءته وقدراته دون الحاجة إلى الاشارة لاسم معين أو شخص بعينه . . لتتم الاشارة إلى أن هذا المكان يحتاج إلى الشخص الذي يتمتع بهذه الصفات وبهذه القدرات ومشهود له بتمكنه، علماً ودراية، من هذا التخصص كائناً من كان شخصه أو انتماؤه أو جنسه .

من المعروف أن العادة قد جرت في بلادنا ، بأن تتم مكافأة بعض الناس على ما قدموا من خدمات خاصة أو معينة، وهذا أمر لايهمنا ولا يضيرنا ولا يعنينا، لكن أن تتم تلك المكافأة بأن تسند إليه وظيفة خدمة عامة تتطلب مواصفات وقدرات لا تتوفر فيه فإن المسألة هنا تختلف. ويصير من صلب اهتمامنا التنبيه إلى ذلك، ويصير الأمر يعنينا ويضيرنا كمواطنين نحتاج إلى خدمات تلك الوظيفة لتأتينا سليمة ومتطورة وبعيدة عن الفساد المالي أو الاداري .

لا زلنا في أول الطريق، وهي طريق طويلة وممتدة ، ويقتضي السير فيها، أن لا نهاب طولها ولا امتدادها، بشرط أن نضع أقدامنا على المواقع الصلبة منها وأن نسير بصبر وأناة ويقين. ومن سار على الدرب وصل.

2002/12/28

المناضل أحمد الذوادي ومحطات العمر

مهدي مطر

مرّت قبل أيام ذكرى رحيل المناضل أحمد الذوادي (8 يوليو 2006 – 2019)، الشخصية الوطنية والأمين العام لجبهة التحرير الوطني البحرانية، إبان فترة العمل الجبهوي وأول أمين عام منتخب للمنبر التقدمي.

هذه الذكرى وكتابة الأخ الدكتور حسن مدن عنها أحيت ذاكرتي، وحثّتني على الكتابة حول محطات اللقاء مع المناضل أحمد، ويبقى رفاقه خير من يكتب عن سيرته النضالية.

أول مرة سمعتُ باسم المناضل أحمد الذوادي والتعرف على شخصيته كانت من خلال الأخ المحامي حسين النهاش. كان ذلك إبان المرحلة الثانوية بمدرسة الحورة الثانوية. يومها كنا مجموعة طلبة في بدايات تفتح الوعي أو لنقل الشقاوة السياسية، حيث جاءني الأخ حسين ليخبرني بأن أحمد الذوادي «سيف بن علي» – وهذا إسمه الحركي كما عرفتُ فيما بعد – قد عاد إلى الوطن بعد سنوات في المنفى والإغتراب، وكان هذا الحديث مع الأخ حسين في مطلع عام 1974، حيث كانت البلاد يومها تعيش بداية إنفتاح سياسي بعد انتخابات المجلس الوطني وقبلها انتخابات المجلس التأسيسي ووضع الدستور.

بعد أشهر تغيّر المزاج وأتت الرياحُ بما لا تشتهي السفن....حيث جرت إعتقالات طالت سياسيين ونقابيين وكان أحمد ضمن من شملهم الإعتقال.

تمرّ الإيام والشهور وتجري حملة إعتقالات جديدة شملت مناصري «الشعبية والتحرير». كان ذلك في ديسمبر 1976، وكنا مجموعة أعتقلت ونقلت من سجن سافرة إلى سجن جزيرة جدا.

في سجن جزيرة جدا إلتقينا مع مجموعة من القيادات السياسية التي كانت تقضي سنوات الإعتقال منذُ يونيو 1974، بموجب قانون أمن الدولة، وكان أحدهم أحمد الذوادي.

ما يُميّز أحمد التواضع والبساطة فلا ترفّع. وبحكم التجربة رأيناه يمارس شعار «السجن ساحة نضال أخرى» على أرض الواقع بالحوار وتدريس المساجين سواء كانوا سجناء سياسيين أو جنائيين. خرجت من المعتقل في ديسمبر 1977 وإستمر إعتقال أحمد وبعض الأخوة حتى أطلق سراحه في ديسمبر 1979.

اللقاء الثاني مع الأخ أحمد كان في مطلع التسعينات وفي سوريا، وكانت وقتها موقع اللجوء وظل «أبو قيس» كما هو بسيطًا في علاقاته، وكان بيته في دمشق مقصداً للقادمين من الوطن البحرين، ورغم مرضه ظل متفاءلاً، والإبتسامة لا تغادر محياه حتى العودة للوطن بعد الإنفراج السياسي في مارس 2001.

بعد وفاته في 8 يوليو 2006، أقمنا في «وعد» لقاءاً حمل عنوان «أحمد الذوادي – سيرة مناضل» تحدّث فيه المناضل عبد الرحمن النعيمي وهو الذي رافق المناضل أحمد الذوادي طيلة فترة المنفى، وكانا ممثلين للحركة الوطنية بجناحيها «الشعبية والتحرير».

وأشاد النعيمي في كلمته بالسيرة النضالية للمرحوم أحمد وبدوره في التقريب بين التنظيمين، وإصدار نشرة «الأمل» الناطقة باسم الجبهتين: «الشعبية والتحرير» إبان فترة التسعينات، كما تحدث في اللقاء الأخ عبد الجليل النعيمي رفيق درب أحمد ومن عاش معه الإغتراب، وكان لي شرف إدارة اللقاء لما يمثله الرفيق أحمد من مكانة في مسار العمل الوطني.

سيظل الرفيق أحمد «أبو قيس» في الذاكرة الوطنية وعَلماً للحركة السياسية في البحرين، وستظل سيرته مدرسة نتعلم منها الصبر والصمود والبساطة في العلاقات النضالية.

في ذكرى رحيل أحمد الذوادي

د. حسن مدن

في مثل هذا اليوم، الثامن من يوليو/ تموز، في عام 2006، رحل أحمد الذوادي، الذي عرف طويلاً باسمه الحركي: "سيف بن علي" وهو يحمل على كتفيه أكثر من نصف قرن من النضال والتفاني في سبيل أن تكون البحرين وطنا مستقلا ديمقراطيا، وأن يكون شعبها حرا سعيدا.

أكثر من خمسين عاما توزعت على السجون والمنافي.. فعدا سنوات قلائل، كانت بينها السنوات القليلة الأخيرة، كان أمام أبي قيس خياران لا ثالث لهما، إما المنفى والغربة، وإما زنزانة السجن.

كل ذلك لم يفت من عزيمته الفولاذية التي قلّ نظيرها. وخلال أكثر من عشر سنوات سبقت رحيله كان عليه أن يقاوم بالإرادة التي عرف بها مرض السرطان الذي كان ينهش خلايا جسده متنقلا من موضع في هذا الجسد إلى آخر، وهو في تلك الحال كان يعطي النموذج في الصمود، متسلحا دائما بالحكمة التي طبعت شخصيته المعطاء، التي أسست لنهج في الممارسة السياسية الكفاحية في التاريخ الوطني للبحرين المعاصرة، كان خلالها أحمد الذوادي على رأس واحد من أعرق التنظيمات السياسية في البحرين، ممثلا في جبهة التحرير الوطني، التي منها انبثق المنبر التقدمي التي شكلت تيارا واسعا في البلاد، انتشر في مختلف مدن وقرى البحرين، قدم خلالها مناضلوها وأنصارها أسطع الصفحات في تاريخ الحركة الوطنية البحرانية. كان أمينها العام وقائدها أحمد الذوادي هو المثال في التضحية وفي العزيمة التي لا تلين، وفي التمسك بخط النضال الوطني الديمقراطي التقدمي الذي لم يحد عنه أبدا في مختلف مراحل النضال ومنعطفاته على مدار خمسة عقود ونيف.

لقد تعلمنا من هذا الرجل بُعد النظر والواقعية السياسية المؤسسة على الروح الكفاحية والمبدئية التي لا تعرف المهادنة، والنفَس الطويل في العمل السياسي الذي لا يضعف أمام الصعاب، ولا يستعجل حرق المراحل، ولا يستعيض عن التحليل العميق للظروف والأوضاع بالشعارات المجردة، والذي كان يدعو دوما للامساك بالحلقة المركزية في كل مرحلة، بوصف الممارسة النضالية عملية تراكمية بعيدة المدى، تعطي أكلها بالتدريج.

ليس غريبا بعد ذاك أن التيار، الذي كان أحمد الذوادي ورفاقه من المؤسسين على رأسه، غدا بعد حين أحد المكونات السياسية والثقافية في تاريخ البحرين وراهنها.. ونشعر، نحن رفاقه، بالفخر أننا تلقينا خبراتنا في صفوف هذا التيار.

هذه الروح ظلت ملازمة لأحمد الذوادي على الدوام، فكان الأقدر دوما على تحسس المتغيرات والمستجدات، والأقدر على التعاطي معها بما عهدناه فيه من بعد بصيرة وتأنٍ وتواضع جمّ، بما يشمله ذلك من قدرة علىً التحرر من الجمود والقوالب الجاهزة، كأنه يستلهم تلك العبارة البليغة لغوته، التي أثارت في حينه إعجاب ماركس القائلة: "إن النظرية رمادية، أما شجرة الحياة فخضراء".

سلاماً لروح أحمد الذوادي في ذكرى وفاته، ولتبقى ذكراه ملهماً لنا في عملنا المستمر اليوم وغداً.

مشروع قانون تنظيم الصحافة والإعلام الجديد القديم

سأتناول في ورقتي هذه ثلاثة محاور هي:
أحدث البدائل أو التعديلات التي صدرت على مرسوم 47 لعام 2002.
السمات المشتركة بين قوانين الصحافة الخمسة التي صدرت في البحرين على مدى 66 عاماً.
الكلمة الضائعة ما بين الخوف والتشكيك من ناحية والثقة والإشادة من ناحية أخرى.

أولاً

قبل حوالي شهرين أبلغت الأوساط الصحفية بتوزيع وزارة شؤون الاعلام لمشروع مقترح تنظيم الصحافة والإعلام، وطلب من رؤساء تحرير الصحف وجمعية الصحفيين تسجيل ملاحظاتهم على هذا المقترح تمهيداً لتقديمه لمجلس الوزراء ومن ثم إلى مجلسي النواب والشورى.

ومن جانبي اطلعت على ردود الأفعال على هذا المقترح والتي كانت مقتضبة أو متهيبة أو يائسة، والتي تعكس كما يبدو الموقف من مرسوم تنظيم الصحافة والنشر ومحاولات الاستبدال والتعديل التي شهدها على مدى 17 عاماً ولم تصل إلى نتيجة.

فمرسوم او قانون 2002، تعرض لنقد شديد ولمحاولات تصحيح وتغيير، ابتدأ من لجنة تفعيل الميثاق إلى مجلس الوزراء إلى مجلس الشورى والنواب إلى الكثير من الكتابات والندوات الصحفية، والتي استمرت حتى عام 2014، عندما أعلنت وزيرة شؤون الاعلام وقتها سميرة رجب عن مشروع قانون للصحافة والإعلام يلغي قانون 2002، ويشمل لأول مرة الصحافة والإعلام المرئي والمسموع والإلكتروني، لكن الحظ لم يسعف الوزيرة التي تمّ استبدالها قبل أن توصل مشروعها إلى مجلس الوزراء، وخلفها وزير شؤون الإعلام الحالي ليعلن تبنيه لمشروع قانون الوزيرة السابقة بعد إجراء التعديلات اللازمة عليه، وهو المشروع الذي نحن بصدده هنا.

يحتوي هذا المشروع على 85 مادة، بينها المواد التالية:

المادة الثانية: حق التعبير عن الرأي ونشره بالقول والكتابة والصورة أو الرسم أو غيرها من وسائل التعبير مكفول وفقاً للشروط والأحكام المبينة في هذا القانون، وذلك دون المساس بأسس العقيدة الإسلامية، والذات الملكية السامية ووحدة الشعب، وبما لا يثير الفرقة اوالطائفية مع مراعاة حكم الفقرة السابقة، تكون حرية الصحافة والاعلام الإليكتروني مكفولة وفقاً للشروط والأحكام المبينة في هذا القانون ولائحته التنفيذية والقرارات الصادرة عن الوزارة.

وتستهدف هذه الحرية توفير مناخ حر لنمو المجتمع وارتقائه ونشر الفكر والثقافة والعلوم في حدود القانون وفي إطار الحريات والحقوق والواجبات العامة واحترام مؤسسات الدولة وخصوصيات الافراد والتشريعات النافذة في المملكة".

علي صالح

المادة 3: "حق النقد مكفول في حدود القانون وعلى الصحف ووسائل الاعلام الالكتروني تحري الدقة عند نشر أو عرض المواد الصحفية أو الإعلامية".

المادة7: "على الجهات الحكومية والخاصة توفير معلوماتها وإحصاءاتها وأخبارها المتاحة والتي لا تشكل نشرها مخالفة للقانون وإخلالاً بمقتضيات النظام العام، أو التي يشكل حجبها تعطيلاً لحق المواطن في الإعلام أو المعرفة".

المادة 13: "يحضر على الصحفي والمواقع الإلكترونية الإعلامية نشر أو بث أي مادة يتعارض محتواها مع أحكام الدستور أو تدعو إلى مخالفة القانون، أو تخالف الالتزامات الواردة في ميثاق الشرف أو يتعارض مع المصلحة الوطنية أو يدعو إلى التمييز بين المواطنين أو يتضمن حثاً على الكراهية أو العنف، وللإدارة المختصة للاعتبارات التي يقتضيها الأمن القومي أن تمنع مطبوعات أو صحف أو مواد إعلامية أو إعلانية صدرت أو جرى بثها من الخارج من الدخول إلى المملكة أو التداول أو العرض.

المادة 31: "يجب على الجهة المختصة بإصدار صحيفة الكترونية أن تحتفظ بكل ما تمّ نشره لمدة سنة من تاريخ النشر وأن تقدم المادة المحفوظة للجهات المختصة عند طلبها".

المواد التالية تتحدث عن الرقابة على الأفلام السينمائية وهي منقولة من قانون 2002، وكذلك المطبوعات المسجلة التي لا يجوز تداولها قبل الحصول على موافقة كتابية من الإدارة بتداولها.

الملفت للنظر ما جاء في ختام المادة 37: "وللوزارة ان تصدر إلى أصحاب دور السينما التعليمات والتوجيهات التي تستهدف الحفاظ على مستوى البرامج السينمائية دينياً وقومياً وخلقياً وفنياً ورعاية الآداب العامة في هذا الدور".

وكأن هذه الأفلام تنتج وتخرج في البحرين.

الجديد في هذا القانون هو ما جاء في المادة 40: "تسري أحكام هذا القانون على المواقع والوسائل الإعلامية الالكترونية الآتية:

دور النشر.
الصحف الالكترونية التي ليس بها أصل مطبوع.
مواقع ومنصات وحسابات الخدمة الإخبارية.
مواقع ومنصات البث المباشر والصوتي الالكتروني.
المواقع الالكترونية للصحف الورقية.
المصنفات والمواد المرئية والمسموعة.
المواقع الالكترونية او القنوات او المنصات او البرامج الالكترونية او البرامج الالكترونية التي تستخدم للأنشطة المنظمة ضمن هذا القانون.

المادة 42: «لا يجوز انشاء أو تشغيل أي من الأنشطة الإعلامية الالكترونية في المملكة أو ادارتها أو إدارة مكاتب وفروع لمواقع الكترونية تعمل من خارج المملكة إلا بعد الحصول على ترخيص بذلك من الوزارة وفقاً للضوابط والشروط التي تضعها الوزارة في هذا الشأن».

القسم الثاني من هذا القانون هو المتعلق بالمسؤولية الجنائية أو العقوبات، وهي تقع في 19 مادة في حين أنها في قانون 2002 لا تزيد عن 8 مواد، والملفت للنظر أن كل الانتقادات التي وجهت لقانون 2002 انصبت على حبس الصحفيين، ثم على الارتباط بين ذلك القانون وقانون العقوبات، إلا أن مشروع القانون الجديد وإن استبعد الحبس إلا أنه أبقي على العلاقة مع قانون العقوبات، متجاهلاً السجال الذي احتدم حول هذا الموضوع طوال 16 عاماً.

المواد الثمان الأولى في هذا الفصل نقلت نصاً من قانون 47 اما المواد الأخرى فسأعرض لبعض منها بالطبع كأمثلة، منها المادة 62 التي تقول: "يعاقب بغرامة لا تقل عن 300 دينار ولا تجاوز 10 آلاف كل من يخالف أحكام المادتين 35 – 39 وللوزارة ان تصدر قراراً بخلق المؤسسة الإعلامية لمدة تتجاوز 30 يوماً ومصادرة المواد المخالفة التي لم يرخص تصويرها أو عرضها أو تقرر منعها من التداول".

المادة 64: "مع عدم الاخلال بالأحكام المنصوص عليها في أي قانون آخر يعاقب بغرامة لا تقل عن 5000 دينار ولا تتجاوز 50 ألف دينار كل من نشر .. الخ".

المادة 65: "مع عدم الاخلال بالأحكام المنصوص عليها في أي قانون آخر يعاقب بالغرامة التي لا تقل عن .."

المادة 66: "مع عدم الاخلال بالأحكام المنصوص عليها في أي قانون آخر يعاقب .."

المادة 68: "مع عدم الإخلال بأحكام قانون العقوبات يعاقب كل من رئيس التحرير وكاتب المقال والمسؤول التنفيذي وصاحب البرنامج بحسب الأحوال والمساهمة

بعقوبة القذف المقررة في قانون العقوبات في ال نشر طعن في أعمال موظف عام أو شخص ذي صفة نيابية عامة أو مكلف بخدمة عامة يتضمن قذفاً في حقه الا إذا اثبت صحة الوقائع المسندة وكانت هذه الوقائع متصلة بالوظيفة أو الخدمة العامة".

وبعبارة واحدة ليس هناك فضاء مباح للصحافة والإعلام بجميع مجالاته، فكل فعل مقيد وكل اعتراض أو اختلاف يمكن ان يؤدي الى العقاب.

2 – السمة المشتركة بين قوانين الصحافة والاعلام الخمسة التي صدرت في البحرين

قانون موسع مكون من 25 مادة وبناء عليه صدرت صحيفتا «الأضواء» ثم «صدى الأسبوع» وغيرهما.

في 7 أغسطس 1969 صدر مرسوم بقانون في شأن المطبوعات والنشر مكون من 65 مادة شملت الصحف والصحفيين والمكتبات والمطابع والأفلام السينمائية والاشرطة المسجلة، وقرها فقط هذا القانون على الارتباط بقانون العقوبات.

بقي قانون 1969 ساري المفعول أكثر من 20 سنة إلى أن صدر قانون 47 لعام 2002. ومع اختلاف هذه القوانين من حيث التسمية والشمولية والأزمنة والحجم فقد جاءت كلها تقريباً في قالب واحد نصفه الأول تحذيرات من الإساءة والتجاوز والتعدي وعدم التسجيل والصدور بدون موافقة رسمية وغيرها، والنصف الثاني هو عقوبات لتجاوز ما تمّ التحذير منه في النصف الأول.

وبإجراء مقارنة بين القوانين الأربعة الأخيرة يمكننا القول إنها جاءت منسوخة من بعضها البعض خاصة في القسم الثاني منها (العقوبات) كما أنها حافظت على علاقتها الوطيدة بقانون العقوبات الذي صدر لأول مرة عام 1955 ثم أعيد إصداره عام 1969 وهي العلاقة التي اتفقت جهات متعددة على فصلها بالنسبة للقانون الأخير (2002)، وكان من المنتظر أن يتبنى القانون الجديد موضوع الانفصال عن امواد قانون العقوبات والمتعلقة بالصحافة والإعلام التي تتطابق في النصوص مع الموجودة في قانون 2002 ثم في القانون الذي بعده.

3 – الكلمة الضائعة بين الخوف والتشكيك من ناحية والثقة والاشادة من ناحية أخرى

من بحثي المتواصل في قوانين الصحافة لدينا توصلت إلى أن اغلب نصوص هذه القوانين وبالتحديد قانون 2002 مأخوذة من قانون الصحافة المصري لعام 1996 وأن الأجزاء المتعلقة بالعقوبات أخذها المشروع المصري من القانون الفرنسي الصادر في عهد ديكتاتورية لويس نابليون والتي ألغيت تماماً من التشريع الفرنسي منذ عام 1881 وهي جرائم العيب والإهانة والإخلال بالنظام وجرائم التحريض ضد النظام، ولو لم يصاحبه عنف وجرائم كراهية النظام والإزدراء به.

المثال الآخر هو ما جاء فيه حكم محكمة أمن الدولة الشهير والصادر في 14-3-1990 برئاسة المستشار محمد سعيد العشماوي في قضية النيابة العامة لسنة 1980، وحيث أن المحكمة تنوه إلى أن حرية الرأي هي أهم حقوق الإنسان وأول حقوق المواطن لا ينبغي تأثيمها مهما كان ولا الحجر عليها بأي سبيل طالما لم يقترن باستعمال القوة أو يتصل بالدعوة إلى الإرهاب، وأي قيد يوضع على حرية الرأي مهما كان لا بد أن ينتهي إلى مصادرة الحريات جميعاً حلقة بعد حلقة وحالة اثر حالة مما يؤدي إلى نظام ديكتاتوري تمحى فيه كل المبادئ وتتلاشى فكرة المواطنة ويتبدد مبدأ سيادة القانون.

ختاماً أذكر هؤلاء الذين يعملون على إصدار قوانين عفا عليها الزمن، اذكركم بما يقوله جلالة الملك حفظه الله في كل مناسبة احتفال بحرية الصحافة بوجود إصدار قانون مستنير للصحافة، ولقوله ايضاً: إن رسالتنا دائماً هي دعوة كافة السلطات إلى التعامل والتعاون مع الصحافة باعتبارها سلطة كاملة الصلاحيات تتكامل مع باقي السلطات ويجب الا تتصادم معها أو تنتقص من دورها المهم والحيوي في حياتنا الديمقراطية وقوله ايضاً: اعتدنا كل عام في مناسبة الاحتفال بحرية الصحافة ان نؤكد من جديد التزامنا بالحق في حرية التعبير والرأي المكرسة في المادة 19 من الإعلان العالمي لحقوق الانسان. (انتهى الاقتباس)

وهو ما يعني أن الاخذ بالمادة 19 لا يجعلنا بحاجة إلى اصدار أي من القوانين السابقة واللاحقة.

النقيضان: ارتفاع الأسعار، ثبات الرواتب

قاسم الحلال

لأنه ليس لدينا القدرة على إبقاء الأسعارثابتة على حالها، وهذا تحد؛ ليس لأن هناك عوامل خارجية فحسب، بل لأن هناك سبباً مهماً، ألا وهو عدم تنوع مصادر الدخل، ومن ذلك غياب أهم مصدر كان يمكن أن يواجه هذا التحدي، ألا وهو القطاع الزراعي.

إن القطاع الزراعي لو كان نشطاً وفعالاً ومؤثراً كان سيحرك السوق على كل الأصعدة، وسيحل ما يقارب أزمة بطالة، حيث هناك الكثير ممن يجد في نفسه الكفاءة في ممارسة هذا العمل وبمعرفة، خصوصاً أبناء القرى الذين مارسوا هذه المهنة مع آبائهم سابقاً، ولازالوا يمارسونها في حدائق منازلهم.

ان تشجيع هؤلاء يمر عبرتوفير المناطق الزراعية، حينما تقوم الحكومة بتوفير أراض استزراعية وهي موجودة بالفعل، كما تقوم بتوفير الأسمدة وهذا ليس صعباً أو مستحيلاً، كما أن توفير الحبوب سيكون سهلاً.

وفي هذه الحالة وبسبب صغر رقعة الأراضي التي سيكون فيها الاستصلاح الزراعي، سيكون ممكناً استيعاب الكثير من الأيدي العاملة العاطلة لكي تعمل في هذا المجال. وللعلم فقط، سيكون للجوانب الصحية دورها، فالمشتغلون في الزراعة لا يعملون في مصانع ليكونون عرضة للتلوث وإصابات العمل.

لو اهتمت الحكومة فعلاً بتشجيع هذا الجانب الاقتصادي، يمكن أن نسدّ مساحة مهمة من الاكتفاء الذاتي، وستكون المحاصيل مضمونة الجودة وصحية. كما أن هذه الخطوة ستذلل الكثير من الصعاب التي تواجهها برامج الحكومة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، وبصورة أساسية منها ارتفاع الأسعار.

سيعفينا هذا الانتاج الزراعي المحلي من مشاكل كثيرة، وسيجعل من المنتج المعلب محلياً، وهذا بدوره سيكون مجالاً لتشغيل أيدٍ عاملة، مما سيعفينا من استيراد السلع، بتوفير بضائع مضمونة الجودة والصحة والسعر، للمستهلك والتاجر، وستكون محمية من تقلبات الأسعار، حيث أن المستهلك بالذات يعاني من ارتفاع الأسعار، وهو الأمر المرتبط بعوامل خارجية، كما ذكرنا في البداية، أهمها ارتباط عملتنا الوطنية بالدولار.

إن المشاكل التي يواجهها المستهلك المواطن، التي تصعب عليه معيشته، هي التلاعب في الأسعار حتى من قبل أصغر بائع آسيوي، بلا رقابة من المؤسسة المعنية بذلك، حيث تقف رقابة الحكومة على السلع والخدمات عاجزة، فيما المطلوب أن يكون لها موقفاً جاداً وان تضع تصوراً شاملاً لمعالجته، وأن تصغي إلى رؤية المواطن، الذي يعاني في معيشته.

ومن ذلك من الضروري أن تكون هناك جدية في ربط مستوى الأسعار بمستوى الأجور، فالمواطن اليوم يعاني من النقيضين: ارتفاع مستوى الأسعار وزيادة الضرائب وكثرتها، فكيف لمجتمع أن ينهض بهذا التناقض.

العاطلون عن العمل
قضية وطنية تحتاج معالجة جدّية

إن تفاقم مشكلة العاطلين وخاصة في صفوف الخريجين وحملة الشهادات العليا، وبلوغها مستويات عالية في نسب العاطلين وأعدادهم، وما لذلك من انعكاسات خطيرة على الوطن، هذا بالإضافة للخسارة الكبيرة لمجهودات وطاقات أبنائه وبناته الذين بذلوا الغالي والنفيس في سبيل تحصيل العلم والحصول على أعلى الشهادات، ومع ارتفاع أصوات العاطلين في المطالبة بحقهم في العمل التي بات يسمعها القاصي والداني؛ كل ذلك حذا بمجموعة من أعضاء مجلس النواب منذ بدء الدور الأول من الفصل التشريعي الخامس إلى تبني تلك المطالبات والسعي إلى تشكيل لجنة تحقيق نيابية للإطلاع على مدى تفشي البطالة بين المواطنين والمعوقات التي تواجه هذه الفئة وتحول دون تشغيلهم.

فلاح هاشم

وما عزز هذا المطلب تواصل المواطنين والعاطلين مع مجالس النواب بهذا الشأن، حيث أصبح الحديث الأول في كل مجالسهم المطالبة بالتشغيل.

فبدأت أعمال هذه اللجنة وفق برنامج تمثل في عقد لقاءات متواصلة ودراسة تقارير الجهات المعنية والتي ترافقت مع عدة توجيهات من القيادة السياسية تدعم إيجاد حلول عملية لهذه المشكلة التي باتت تؤرق الجميع، بما في ذلك توجيه بعض الوزارات لفتح باب التوظيف أمام العاطلين من المواطنين؛ فأشاع ذلك الأمل لدى مجاميع العاطلين بقرب انتهاء معاناتهم، والخلاص من دوامة تقاذف المسؤوليات بين الإدارات المختلفة.

إلا أن غياب الشفافية والمعايير الواضحة في التوظيف والمضي قدما بعيداً عن المراوغة والحجج الواهية بعدم كفاءة الخريجين، وغيرها من الذرائع؛ جعلت من أصوات الباحثين عن العمل تعود وتشكو من بطء الإجراءات، وتعقيد آليات المقابلات، وغياب المعايير الواضحة.

ومن المعروف أن هنالك وزارات خدمية بعينها تستحوذ على العدد الأكبر من نسبة التشغيل في القطاع العام، وينطبق ذلك على الشركات الوطنية التي تديرها الذراع الاقتصادية للدولة (شركة ممتلكات) وبها وظائف يقبل عليها البحرينيون، كونها تؤمن للعاملين فيها التطور والاستمرارية والأمان الوظيفي. كما أن هذه الوزارات والشركات بها أعداد كبيرة من العمالة الوافدة، والتي يمكن أن تستوعب العدد الأكبر من العاطلين البحرينين من أصحاب المؤهلات العلمية بدل العامل الوافد أو أن يكونوا البديل للذين تتم إحالتهم على التقاعد.

إذا أردنا فعلاً، وبصورة جدية إنجاح خطوة بحرنة الوظائف في القطاع الحكومي والشركات الوطنية، فلا بد لنا من خطوات حاسمة يجب اتخاذها لتحقيق إنجازٍ في اتجاه حل مشكلة البطالة تتمثل في الآتي:

– الإعلان عن جميع الوظائف التي يشغلها غير البحرينين في الوزارات الحكومية والشركات الوطنية، وذلك باتباع آلية واضحة وشفافة في هذا الإعلان، وإيقاف أي توظيف لا يعلن عنه.

– العودة لكل ملفات طلبات التوظيف التي أهملت لسنوات ماضية، وتشغيل أصحابها وفق الأقدمية متى ما توفر المؤهل العلمي، مع توفير التدريب لهم إذا احتاجوا ، وهم على رأس الوظيفة.

– وقبل كل هذا يجب تغيير العقليات والممارسات التي أدت إلى تفاقم هذه المشكلة، وكانت سبباً رئيساً في بقاء هذه الأعداد الكبيرة من الوافدين في هذه الوظائف، بل ازدياد أعدادهم ونسبتهم.

وختاماً نقول: إن من المهم التأكيد على أن مشكلة العاطلين أصبحت قضية المجتمع بجميع شرائحه ومؤسساته الرسمية والمدنية والأهلية، ولذلك يجب أن تكون تحت المتابعة المستمرة والدقيقة من قبل الجميع: الحكومة، العاطلين الباحثين عن عمل، المواطنين، وقبلهم أعضاء مجلس النواب، وخصوصاً لجنة التحقيق البرلمانية بشأن البحرنة والتي من مسؤولياتها أن تتصدى لأي محاولة للالتفاف على هذا المطلب الوطني، والتهرب من إيجاد حل عاجل وعادل لمشكلة جميع المواطنين الباحثين عن عمل.

بصراحة

٢٦ أغسطس ١٩٧٥: التجربة الموؤدة

في ٢٦ من هذا الشهر تمر علينا أربعة وأربعون عاماً على حل المجلس الوطني في عام ١٩٧٥، وإنتهاء أول تجربة نيابية تشهدها البلاد لم تدُم طويلاً، بدأت في السابع من ديسمبر عام ١٩٧٣ وانتهت في ٢٦ أغسطس ١٩٧٥، أي أنا لم تستمر أكثر من عشرين شهراً.

فاضل الحليبي

ففي 23 أغسطس 1975 شنَّ جهاز الأمن آنذاك بقيادة آيان هندرسون حملاتِ اعتقالاتٍ واسعةٍ في صفوف مناضلي جبهة التحرير والجبهة الشعبية وشملت بعض النواب من كتلة الشعب، حيث غيّب المعتقلون لسنوات طويلة في السجون، ولو قُدّر لتجربة المجلس الوطني الاستمرار لأصبح الوضع مختلفاً، فربما تطورت التجربة واتسع نطاق التحولات الديمقراطية والحريات العامة في بلادنا، دون أن يدفع الوطن والشعب تكاليفَ باهظةً بعد تطبيق قانون أمن الدولة السيّئ الصيت على مدار ربع قرن، قدّم خلاله شعبنا وحركته الوطنية والشعبية تضحيات كبيرة.

عندما نستذكر هذه التجربة فمن أجل الاستفادة وتعلم العبر والدروس، ولاسيما تجربة (كتلة الشعب) المشكّلة من جبهة التحرير الوطني البحرانية، التي نشطت في المجلس الوطن من خلال البرنامج الذي خاضت به الانتخابات بإثني عشر مرشحاً على قائمتها فاز منهم ثمانية مرشحون بفضل الالتفاف الجماهيري حول مرشحي الكتلة؛ وعندما فازت أوفت بوعدها للناخبين والتزمت بتنفيذ البرنامج الانتخابي الذي يحتوي على العديد من المطالب والحقوق السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، العمالية، وغيرها.

وكان واضحاً حرص أعضاء الكتلة على ربط العمل البرلماني بالعمل الجماهيري خارج قبة البرلمان، لم يعجب ذلك العديد من الأطراف سواء كانت في السلطة أو خارجها من القوى الرجعية التي كان همها الأول مقارعة أطروحات ورؤى كتلة الشعب والقوى الديمقراطية واليسارية، وكذلك عملت أطراف خارجية من كالقوى الاستعمارية، البريطانية والأمريكية، كما تكشف ذلك جلياً الوثائق البريطانية التي رفعت عنها السرية بعد أكثر من ثلاثين عاماً.

هذا ما يؤكده الأستاذ علي ربيعة النائب السابق في المجلس الوطني عن (كتلة الشعب) في كتابه (التجربة الموؤودة: الحياة الديمقراطية في البحرين) ص 79، حيث ينشر رسالة من السفير البريطاني آنذاك إلى الخارجية البريطانية في 11 ديسمبر 1973، حيث يقول إن بيان (برنامج) كتلة الشعب كان بمثابة قائمة طويلة من الأهداف الاشتراكية شاملاً ذلك على سبيل المثال المشاركة في صناعة النفط بنسبة 50٪ وتأميم المؤسسات الأجنبية وإطلاق حرية تشكيل الاتحادات العمالية وتقليص صلاحيات الشرطة، وتطبيق البحرنة وإلغاء القواعد الأجنبية وهذا البرنامج يبدو وكأنه عمل من إجل كسب رضا الشباب ومعارضي الخليفة وكسب تأييد العمال وأصحاب العقول التقدمية والواقفين ضد الغرب والساخطين بشكل عام).

وهذه واحدة فقط من رسائل وتقارير عديدة مرسلة للخارجية البريطانية.

في ص 80 من الكتاب يقول الأستاذ علي ربيعة: (وقد أثبت أعضاء كتلة الشعب في المجلس الوطني أن هذا البرنامج الذي زاوج بين الايديولوجية ومطالب الشعب وقضاياه لم يكن إجراءً تكتيكياً الهدف منه الكسب السياسي والوصول إلى البرلمان بقدر ما كان برنامجاً للنضال الوطني والتطبيق العملي داخل أروقة البرلمان وفي الوقت نفسه امتحاناً لمدى جدية السلطة في هذا التوجه الديمقراطي).

ويواصل الحديث عن التجربة البرلمانية السابقة في الفترة 1973/ 1975: «في محاولة ذكية من الحكومة لإشغال المجلس عن ممارسة دوره التشريعي والرقابي وإبعاده عن قضاياه المهمة والأساسية وضعت الحكومة خطةً لإغراق المجلس في بحر من القوانين التي أعدتها لهذا الغرض) .(ص 286).

وهذا مايحدث اليوم، حيث تحاول بعض الجهات الحكومية إشغال أعضاء مجلس النواب في قضايا وأمور ثانوية تعيق من تطور تجربة مجلس النواب. لذا من المفيد الاستفادة من تجربة كتلة الشعب و دورها ونشاطها سواء في دهاليز المجلس الوطني أو في التواصل مع الجماهير الشعبية.

صحيح أن صلاحيات المجلس الوطني تختلف عن مجلس النواب وحدثت العديد من التغيرات والأحداث، لكنها، وعلى الرغم من قصرها، كانت قيمة وثرية بالعطاء و الإبداع، يجب علينا أن نتعلم منها الدروس والعبر.

مائة عام على التعليم النظامي في البحرين ١٩١٩–٢٠١٩

ظروف تأسيس أول مدرسة حكومية للبنات في البحرين

فوزية مطر

بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها تنادى المثقفون بمعية عدد من التجار المتنورين للتحرك نحو تشكيل هيئة إدارة خيرية للتعليم الحديث، تولت مهمة إجراء ما يلزم من استعدادات لتأسيس مدرسة أهلية للبنين بالمعنى النظامي الحديث للتعليم. نجح المشروع ورأى النور سنة 1919 بمسمى «مدرسة الهداية الخيرية الخليفية للبنين». بعد مضي بعض الوقت على تأسيس مدارس البنين اتجه اهتمام الهيئة ذاتها نحو خطوات أكثر جرأة بطرح ومناقشة البدء بتعليم البنات، ولكي ترى مدرسة البنات النور تضافرت الجهود التالية:

1. هيئة الإدارة الخيرية للتعليم الحديث برئاسة الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة ونائبه الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة.
2. النخبة التجارية من أعضاء الهيئة ومن خارجها.
3. مباركة ولي العهد القائم بأمور الحكم الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة الذي كان منفتحاً مشجعاً لمشروع تعليم البنات، زار بريطانيا زيارة رسمية سنة 1925 واطلع على النهضة التعليمية والثقافية في تلك البلاد.
3. الشيخة عائشة بنت راشد بن محمد آل خليفة زوجة ولي العهد القائم بأمور الحكم الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة التي تميزت بوضوح توجهاتها نحو ضرورة تعليم البنات وتشجيعها للمضي في المشروع. رافقت زوجها في زيارته لبريطانيا سنة 1925 في خطوة غير مسبوقة بدول منطقة الجزيرة العربية، وهناك زارت المدارس والمنشآت التعليمية للاطلاع على مظاهر التطور في تعليم المرأة.
4. الدور المبادر في طرح الفكرة والترويج لقبولها الذي لعبه الأستاذ عثمان الحوراني وبعض المعلمين العرب الوافدين وعائلاتهم.
5. التأييد والدعم الذي ناله المشروع من مستشار حكومة البحرين تشارلز بلجريف وزوجته السيدة مارجوري بلجريف.

شرارة البدء الأولى تمثلت في تواصل بعض نساء مجتمع المحرقي وشاباته مع قريبات الأساتذة الشوام معلمي مدرسة البنين الذين قدم بعضهم برفقة عائلاتهم. قدم الأستاذ السوري عثمان الحوراني مع ابن أخته الأستاذ زكريا البيات الذي عمل مدرساً بمدرسة البنين، ورافقتهما السيدة أم زكريا شقيقة عثمان الحوراني وابنتها فاطمة البيات. تواصلت أم زكريا وابنتها فاطمة البيات مع عدد من نساء المحرق وتبادلتا معهن الزيارات. حين توطدت العلاقة، اقترحت فاطمة البيات على النساء إرسال بناتهن إليها بعد المغرب لتعلمهن الكتابة وبعض دروس الخياطة والتفصيل والتطريز. وصل العدد إلى عشرين فتاة، وبهذا القدر البسيط استطعن الكتابة وتعلمن بعض العمليات الرياضية البسيطة من جمع وطرح وقسمة وضرب، وحفظن جدول الضرب.

اكتسب تلك التجربة الدراسية أو تلك المدرسة – إن جاز تسميها كذلك– أهمية تاريخية بالنسبة لبدء التعليم الحكومي للبنات في البحرين، فقد دفعت بتحويل التفكير والمناقشات في أوساط الهيئة الإدارية للتعليم إلى خطوات عملية متواترة أسفرت عن افتتاح أول مدرسة حكومية لتعليم البنات. كتبت نورة الشيراوي ما جرى نقلاً عن والدها المرحوم أحمد علي الشيراوي الذي كان من رواد مجلس الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة رئيس الهيئة الخيرية لإدارة التعليم، وشهد المناقشات حول تعليم البنات. يقول: « كنا في مجلس الشيخ عبدالله بن عيسى في المحرق وتساءل الشيخ وذلك حسب ما نُقل إليه من أن هناك بعض بنات الأسر يذهبن بعد المغرب إلى بيت الأستاذ زكريا البيات للدراسة لدى شقيقته ووالدته. أخبرناه بصحة ما نُقل إليه حول الموضوع، بعدها قال إنه لا يرى في الموضوع شيئاً خارجاً على المألوف. هنا قال الأستاذ عثمان الحوراني: ولماذا لا نجمع عدداً من الفتيات الصغيرات اللواتي يتعلمن في الكتّاب وندعهن يتعلمن القراءة مع الكتابة ونجعل من السيدة فاطمة مديرة للمدرسة على أن يتم التعليم في الصباح.» بعد ذلك عُرض الأمر على الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة القائم على شئون الحكم ولم يعارض فبدأت المسيرة، استأجرت الحكومة بيت المرحوم عبدالرحمن محمد الزياني جنوبي المحرق وافتتحت سنة 1928 كأول مدرسة حكومية للبنات في البحرين ودول الخليج العربية قاطبة.

الشهادة أعلاه تؤكد الدور الأساس الذي لعبته الهيئة الخيرية للتعليم في تدشين تعليم البنات، كما تؤكد الدور المبادر للمعلمين العرب الوافدين وعلى رأسهم الأستاذ عثمان الحوراني الذي نشط ومجموعة من زملائه في الدفاع عن المشروع وتوعية الأهالي بضرورته وأهميته. الشهادة ذاتها تدحض ما أورده مستشار حكومة البحرين تشارلز بلجريف في مذكراته الشخصية حين خص نفسه وزوجته بأول طرح لمشروع تعليم البنات في البحرين. مع ذلك، فتاريخ التعليم يؤكد دور مستشار الحكومة تشارلز بلجريف وزوجته في الإشراف المباشر على شئون تعليم الجنسين في البحرين. أظهرت التقارير السنوية الحكومية الدور المحوري الذي كان يلعبه بلجريف في توجيه دفة التعليم ومتابعة كل صغيرة وكبيرة فيه، أما دور زوجته السيدة بلجريف في الإشراف على تعليم البنات فقد كان كبيراً طوال فترة بقائها في البحرين.

كان متوقعاً تصدي المحافظين بالمعارضة لفكرة تعليم البنات، مثلما كان متوقعاً هجوم شيوخ الدين في خطبهم ضد افتتاح المدرسة. تصدى أئمة المساجد لما أسموه «بدعة» بقوة وعنف وهاجموا افتتاحها في خطب الجمعة. وكانت حجتهم في ذلك أنه إذا تعلمت الفتيات القراءة والكتابة فلا شيء يمنعهن عن مراسلة الرجال دون معرفة أولياء أمورهن. كما جوبه المشروع بحجة أخرى مفادها أن افتتاح المدرسة سيؤثر سلباً على فرص البنات في الزواج، حيث سيُنتقد ظهورهن أمام الملأ مما لن يروق للشباب المقدمين على الزواج. بل إن قاضي البحرين الشيخ قاسم المهزع الذي دعم افتتاح مدرسة البنين قد تصدى للمشروع بالهجوم في خطبة الجمعة. وفوق ذلك فإن قرار افتتاح مدرسة للبنات دفع ببعض الشخصيات المجتمعية للتقدم للحاكم بعريضة احتجاج على ما أسموه «بدعة خطيرة». وتوجهت مجموعة منهم إلى مكتب مستشار حكومة البحرين تشارلز بلجريف ليقدموا احتجاجهم ورفضهم للمشروع.

ما أظهره المجتمع من رفض لفكرة تعليم البنات كان متوقعاً في مجتمع البحرين التقليدي نهاية العقد الثالث من القرن العشرين. انتشرت بين الناس أخبار افتتاح المدرسة كالنار في الهشيم، ولاكت الألسن الفكرة وتناقلتها البيوت، أصبحت حديث المجتمع بمن فيه المجتمع النسائي القابع وراء جدران البيوت. بلغ الهجوم على تعليم البنات أن صاغت القريحة الشعبية مقطوعات شعرية رافضة ومستنكرة ذلك تم تناقلها ورددتها العامة، منها المقطع التالي:

يا ناس جوفوا اللي جرى — اللي جرا ما ينكتب ما ينقرا
إشلة البنت في المدرسة — دخترة لو هي مهندسة
وإلا وزير في مجلسه — وإلا أستاذ بمدرسة
يا ناس في قلبي حريج — ما عاد لي دمع وريج
آجوف بنتي في الطريج — جدام ريايبل الفريج

رغم الهجمة الشرسة التي واجهها افتتاح المدرسة أصبح تعليم البنات حقيقة واقعة موجودة على الأرض ولا مجال لمقاومتها، ذلك مما يؤكد أن جدار الصد ضد تعليم البنات قد شُرخ شرخاً لا رأب له ولا مجال لمقاومته. انتصرت إرادة التغيير ونجح المشروع بجهود رواد التنوير وافتتحت سنة 1928 أول مدرسة حكومية للبنات بمسمى «مدرسة الهداية الخليفية للبنات»، وبدأت تشق طريقها تدريجياً نحو التطور والتقدم والتوسع.

الفقر في أعمال الأدباء الروس في القرن التاسع عشر

نفخر بأن مصيرنا السلاسل
وخلف أبواب السجون الموصدة
نضحك في نفوسنا من القياصرة
إن عملنا الحزين لن يذهب عبثاً
فمن الشرارة يندلع اللهيب
وأن شعبنا المستنير
سيصون الراية المقدسة
وسنحول السلاسل إلى سيوف
ونوقد مجدداً نار الحرية
ونزلزل بها القياصرة
وتتنفس الشعوب فرحة

الشاعر الروسي أ. اديفسكي

رضي السمّاك

تناولنا في المقال السابق تحت عنوان «لماذا لا يشعر هؤلاء بآلام الفقراء ؟» غياب قضايا وهموم العمال والكادحين والطبقات الفقيرة عن اهتمامات فئة من مثقفي وكتّاب اليسار العربي، والخليجي منه بصفة خاصة، وكذلك من صعدوا طبقياً إلى أعلى بعدما كانوا ضمن الطبقات الفقيرة الدُنيا ، ناهيك عن ملياردرية عصرنا البخلاء، ونوّهنا في الخاتمة بالإعجاب والتقدير بأدباء روسيا الكبار في القرن التاسع عشر الذين رغم انحدار العديد منهم من طبقة النبلاء أو طبقات اقطاعية وارستقراطية ميسورة ولم يعوا الفكر الإشتراكي العلمي، إلا أنهم عبّروا بحسهم الإنساني في روائع أعمالهم الأدبية عن مآسي أولئك الفقراء والمعدمين وأرقت ضمائرهم الإنسانية آلامهم ، وإن اتسمت رؤاهم للخلاص من تلك الأوضاع المأساوية التي يرزح تحتها ملايين الفلاحين وسائر المعدمين بالفكر الطوباوي المثالي.

وأنت لو قارنت بمن أثرى سريعاً داخل روسيا في ظل النظام الحالي منذ انهيار الاتحاد السوفييتي من أصحاب المليارات لما وجدت بينهم مساهمات مالية تُذكر للمهمشين والمسحوقين، ولا وجدت بين من ينتمي إلى عوائلهم من أدباء أو كتّاب – هذا إن وُجدأدباء وكتّاب – من تؤرقه عذابات الطبقات التي سحقتها عجلة الرأسمالية الطفيلية الروسية الجديدة .. فماذا جنى السواد الأعظم من الشعب الروسي من انتفاضته على النظام الشمولي الاشتراكي الذي ترهّل فإنهار؟ فلا هو نال الحرية بمفهومها الليبرالي الغربي ولا هو نال حداً أدنى من العدالة الإجتماعية التي تدفع عنه غول التوحش الرأسمالي الجديد وتحفظ كرامته الإنسانية .

خذ على سبيل المثال الشاعر الكبير بوشكين (1797 – 1737)، فرغم إنحداره من واحدة من عوائل النبلاء المثقفة، لكنه لم يستطع أن يغمض جفنيه عن الهزات والتناقضات الإجتماعية التي تعصف بعصره وتطحن ملايين الأقنان والفلاحين، ووجد نفسه منجذباً لأفكار انتفاضة الديسمبريين التقدمية (انتفاضة مجموعة من الضباط الروس ضد النظام القيصري عام 1825 وكان من الذين راحوا ضحيتها إعداماً الشاعر ريليف المنحدر من إحدى عائلات الملّاك) وانتفاضات الفلاحين والساخطين على نظام العبودية والاستبداد. وحينما انتقل إلى مدينة بطرسبورغ كان قريباً من الجمعيات السرية التي تضم لفيفاً من الشباب النبلاء التقدميين الناقمين على الأوضاع الاستبدادية الظالمة تحت الحكم القيصري. وقد عبّر في قصائده، كما في قصيدتي «الحرية» و«القرية»، عن سخطه على طغيان هذا الحكم وأن لا خلاص لهذا الشعب مالم يتحرر منه.

وأنت لواجد أيضاً على هذا المنوال أعمال الكاتب المسرحي والقاص الكبير غوغول (1806 – 1852) الذي تأثر بأعمال بوشكين مثلما تأثر بأعمال كتّاب غربيين كبار أمثال شكسبير وموليير، وكانت بعض مسرحياته يُحظر إخراجها على المسرح كمسرحية «المفتش العام» التي لم تُعرض إلا بعد التماسات من بعض أصدقائه من القيصر، وكان أن عرى نظامه السياسي الإجتماعي بأفضل ما يليق من صور تعبيرية في نص تلك المسرحية من خلال ما يمكن أن نطلق عليه إسلوب «الكوميديا السوداء» متناولاً مظاهر التسلط والطغيان بمصالح العِباد في الأقاليم والحياة البيروقراطية الراكدة التافهة للمسؤولين، وكيف كانوا يستنفرون ويزينون ويخفون القبح داخل مدنهم ما أن يتناهى إلى مسامعهم بوصول مفتش من المفتشين الإداريين، ولم يكن بطبيعة الحال هؤلاء المفتشون سوى مرتشين وجزء من منظومة الفساد القائمة التي تنخر النظام وهي صورة ما فتئت تطبع النظام الروسي الجديد .

أما الروائي والأديب الروسي العظيم تولوتسوي (1828 – 1810) فهو أشهر من نار على علم ليس في روسيا فحسب ، بل والعالم بأسره، واعتبره النقّاد وريثاً للاديبين بوشكين ولبرمانتوف، وقد وُلد لعائلة إقطاعية عريضة الجاه والمال وكان جده الأول واحداً من أقرب المقربين لبطرس الأول، وشارك والده في الحرب الوطنية ضد نابليون 1812، كذلك كان غالفوين اي . ام . رب عائلة والدته من أعوان بطرس الأول المعروفين.

وكان أديبنا الكبير قارئاً نهماً لثقافات وآداب الشعوب من مصادرها الأصلية بعد أن ألم باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية ومعظم اللغات السلافية . وقادته ثقافته الإنسانية الاممية وتمرده على ما عايشه بما يموج به مجتمعه من تناقضات وأوضاع بائسة يتفاوت فيه أي معنى للعدالة الإجتماعية تفاوتاً صارخاً إلى ادانة المفاهيم والقيم الروحية المنافقة والمتهافتة التي تربى عليها منذ نعومة أظفاره في عائلته الإقطاعية.

ومع أنه انتقد بشدة الطبقة الحاكمة القيصرية وتواطؤ الكنيسة معها إلا أنه بدا هو الآخر– لعدم تسلحه بالوعي العلمي الطبقي – في أعماله الروائية طوباوياً مثالياً يرى أن خشية الخلاص إنما تكمن في محاسبة الفرد الذاتية لسلوكه ودعوة طبقته الإقطاعية إلى أن يستيقظ ضميرها وأن تكون قريبة من نبض الشعب العامل.

وعلى هذا النحو نجد كيف جسّد في أعماله القاص والروائي والشاعر تورغينيف (1818 – 1883) تأثره الإنساني بمآسي الفلاحين، هو الذي عاصر في طفولته حركة الديسمبريين وتأثر منذ صغره بمشاهد الفاقة والقسوة التي يحياها البسطاء الروس ومايعانونه من جور وإضطهاد وإذلال على أيدي العائلات الإقطاعية، وبضمنها عائلته، وعاهد نفسه ألا يقف مهادناً أو محايداً وهو يلمس هذا الظلم أمام ناظريه، وكان وفياً لعهده، فجاءت قصصه الأولى التي جمعها في كتاب «مذكرات صيّاد» لتعبر عن إدانته لتلك الأوضاع المزرية وإدانته لطبقته ومعبراً عن أروع صور التعبير عن إنسلاخه فكرياً ووجدانياً عنها، ولم يتردد عن الدعوة لتحرير الفلاح ، وكذلك في أعماله الروائية التي بدأها في خمسينيات القرن مثل «رودين» و«العش الإقطاعي» و«العشية» وغيرها. وليأسه من إصلاح النظام القائم لم يتوان عن القول في أواخر عمره: «لقد كنت أؤمن سابقاً بالإصلاحات الفوقية، أما الآن فقد خاب ظني بذلك تماماً، ولو لم أكن شيخاً عجوزاً لإنضممت الآن بكل سرور إلى حركة الشباب وآمنت بإمكانية التحرك من الأسفل». وبالإضافة إلى تلك الاسماء الكبيرة ثمة العشرات مما لايتسع المقام هنا للإشارة إليهم.

وهكذا فلئن اُعتبرت أعمال فلاسفة ومفكري عصر الأنوار مثل فولتير ومو نتسكيو وروسو وديدور وغيرهم الممهدة لصياغة فكر الثورة الفرنسية ومبادئها العظيمة، فإنه يمكننا القول أن أعمال هؤلاء الأدباء الروس العِظام كانت الممهدة فعلياً لنبتة الفكر التقدمي العلمي الإشتركي على الأرض الروسية والتحضير للثورة على النظام القيصري والإطاحة به في ثورة اكتوبر الإشتراكية عام 1917 بغض النظر عما شاب مسيرتها بعدئذ من أخطاء أفضى لنهايتها الفاجعة.

وأنت لواجد تلك الأعمال الأدبية ليست خالدة بمعنى عراقتها فحسب، بل حية وكأنها تدين حاضراً جديداً ما فتئت روسيا الجديدة تعاني منه، وإن اختلفت مظاهر وأشكال الظلم فيها، بل وتعاني منه أغلب بلدان العالم في عصر الرأسمالية المتعولمة المتوحشة.

دقيقة على الهواء

بعد أعوام من الإهمال والتجاهل تلقى مكالمة هاتفية من مدير برنامج سياسي في التلفزيون الرسمي يقترح عليه المشاركة في ندوة تلفزيونية. تحدّد الموعد وعنوان الندوة وأسماء الضيوف المشاركين، انتشى قليلا، ولكن بدأت التساؤلات تطرق رأسه: هل بدأ عهد الصفح والتسامح ونسيان الماضي حقيقة؟ أم أنه خطا خطوة إيجابية باتجاه السلطة فتلقى ردا مماثلا وسريعا؟

عصمت الموسوي

قال في نفسه: لا يصح إلغاء المعارضين سواء كانوا سابقين او لاحقين. إن الدولة تحتاجهم دوما وخصوصاً في زمن التحولات والانعطافات الكبرى لتعظيم اتباعها وتعزيز ديموقراطيتها الوليدة ذات الاطياف المتعددة، ولإغراء الممتنعين والمترددين كي يلتحقوا بركبها، كان النظام السياسي قد طرح رؤية سياسية شاملة تتضمن اعترافا بالمعارضة «النوعية» وبأهمية وجودها ودورها في دعم النظام ومؤازرته وفي تقويمه واصلاحه اذا اقتضت الضرورة ، فاختار الانضواء تحت جناح هذه "المعارضة الجديدة فاحتمى تحت مظلتها وكرّس كتاباته ومناقشاته لإقناع الجماهير بها .

دخل صالة الاستديو، ممتلئا بالأفكار الإيجابية، سجّل في مفكرته الصغيرة النقاط والأمثلة والتطبيقات التي سيتناولها، والتي سبق له أن طرحها في منتديات سابقة، سيقول إنه لم يعد يؤمن بالمعارضة الثابتة الدائمة كما تفعل المعارضات التقليدية، إنما بتلك المعارضة المرنة المستوعبة للتغيير الدائم، فإن استحسنت من النظام – فعلا أيّدته، وإن استقبحت أمراً عارضته. هي معارضة لا تعادي النظام على طول الخط، بل معارضة تنتقل بسهولة من ضفة التأييد الى ضفة المعارضة حسب المواقف والظروف.

نظر إلى المشاركين، فشعر بالانتشاء، قال في نفسه: هؤلاء لا يسهل التفوق عليهم فحسب بل اكتساحهم بمداخلة واحدة، وتبيان حجم البون الشاسع الذي يميزه عنهم علماً وثقافة، لقد أمضي حياته مكرّسا كل وقته للعمل السياسي وللقراءة والكتابة ونشر الروايات ودواوين الشعر ومراسلة الصحف والمجلات الخارجية على إثر منعه من الحضور والتشارك في الشأن المحلي في الداخل، وذلك قبل أن ينتهي إلى السجن ويمضي عقوبة طويلة.

ما أن بدأت الندوة حتى تجلّت صحة شكوكه، فالمتحدثون الثلاثة بدوا له في غاية السطحية وهزالة الطرح، أين عمره الثقافي والسياسي وتجربته التاريخية ولغته البليغة وغزارة معلوماته وجرأته مقارنة بهؤلاء الشباب الأغرار المصنعين الذين جرى تحفيظهم ما يراد قوله قبل الدخول إلى الأستوديو بلحظات.

لم يكن أول المتحدثين، بل إن المذيع اقتطع لنفسه مساحة صغيرة تناول فيها بعض المحاور باختصار قائلاً إنه يفضل تخصيص الوقت الأكبر للمشاركين.

انطلق المتحدثون، دوّن في مفكرته بعض الأفكار التي يود التعقيب عليها.

مضت ربع ساعة ولم يأت دوره، ما لهم يسهبون في الحديث بلا أي حساب للوقت المخصص لهم؟ قد يعود السبب إلى اجتهاد خاص من هذا المذيع لإبراز شخصياتهم ومنحهم فرصة أكبر للظهور على خلفية طراوة عودهم وحداثة تجربتهم السياسية .

حدّق في ساعته بانفعال، رمق المذيع بنظرة صارمة ووجه متجهم، علّه يراه ويقرّ بوجوده، تحرك المذيع صوبه مستجيباً لإلحاح نظراته وحركاته، إلا أنها فرصة لم تتجاوز الدقيقة الواحدة والتي لم تسعفه على قول شيء مما رسم في مخيلته، قطعها صوت المذيع بسرعة معلنا: «فاصل ونعود »

غادر كرسيه واندفع نحو المذيع بالسؤال:

ماذا أفعل هنا؟

أجابه بهدوء:

سيكون الوقت كله لك بعد الفاصل إن شاء الله.

شحن نفسه مجدداً بالأمل، لكنه شعر بالإنقباض والإهانة، هم الذين تواصلوا معه وهم الذين طلبوه، وهاهو يستجدي الفرصة للحصول على الكلام.

انتهى الفاصل فاعتدل في جلسته ونفض ثوبه وأعاد ترتيبه وتهيأ للبدء في الكلام. عاد المذيع إلى إدارة دفة الحديث بين الضيوف الثلاثة وراح ينتظر دوره.

وبينما كانت الكاميرا تتجه نحو الضيوف متجاهلة إياه، تلقى قصاصة ورق صغيرة من خلف الكواليس مذيلة باسم المذيع، جاء فيها:

«ستعطى كل الوقت في الخمس دقائق الأخيرة، فاستعد»

هذا صنف جديد من الحوارات التلفزيونية لم يعرفه قبلا، قال في نفسه.

وراح يستعرض في ذهنه الأفكار التي سيضطر إلى تلخيصها في عدة كلمات، قال في نفسه: الشطارة كل الشطارة في التلخيص، ولكنه سيستهل الكلام بالإشارة إلى الظلم الذي وقع عليه نتيجة تهميشه وتجاهل وجوده في أول لقاء له مع الجماهير وعلى الهواء مباشرة، وهو الذي جيء به للحديث عن أهمية وجود الراي المخالف والناقد والمعارض في الحياة السياسية، من الضروري قول ذلك إنصافا لحقه ولحق جمهور المشاهدين الذين كانوا ينتظرون دوره بالتأكي. ان وجود اسمه على برنامج سياسي كفيل بجذب الجماهير ورفع نسبة المشاهدة كما يرى نفسه دوماً، لكنه عدل عن الفكرة متذكراً أنه قرّر التحلي بالإيجابية إلى الشوط الأخير، لا ضرورة لاستعراض أي مظلمة وقعت عليه أو على غيره محبذا البقاء في حديث المستقبل ومناقشة قيم التسامح والمصالحة ونسيان الماضي والبدء من جديد تناغماً مع زمن مختلف ومعارضة نوعية ومختلفة .

كان يتأرجح في أفكاره عاجزاً عن إيجاد جواب لما يحدث حوله، وما هي إلا لحظات حتى استيقظ من غفوة تأملاته على وقع طقطقة إغلاق الأجهزة والانوار الكاشفة، والمذيع يشكر المشاهدين معلنا انتهاء الحلقة. ساد الظلام لعدة لحظات، سمع أحد افراد الطاقم الفني يقول "يعطيكم العافية جماعة، كانت حلقة حلوة".

عدّل غترته وعقاله، انطلق إلى الخارج قبل غيره محاولا تجنب رؤية الحضور، هرب إلى سيارته المركونة في زاوية مظلمة للانفراد بنفسه واستعادة توازنه.

هاتف زوجته التي يشعر دوماً انها تجلده بسياط نقدها القاسي، من المهم قبل كل شيء ان يجد وسيلة لمواجهتها، لن يغمض له جفن قبل مصارحتها بما حدث له في هذه الليلة الكالحة، لا قدرة له على تلقي المزيد من الأسئلة والتعليقات الذي لا طائل منها، قبل أن يبادر بالحديث استبقته بالسؤال:

كيف كانت الندوة، ثم أردفت: معذرة .... لم يسعفني الوقت لمشاهدتها.

أنقذته بجوابها المفاجئ فعاجلها بالرد:

كنت متوعكا بعض الشي، وأحمد الله أنهم كانوا متعاونين جدا معي.

ما هي المرأة؟

نظّمت الروضة التي ترتادها ابنتي يوم المهن، حيث يرتدي الأطفال أزياء المهن التي اختاروها، أو التي اختارها آباؤهم/ أمهاتهم. ما سنلاحظه في الصورة أنّ جميع الفتيات ممرضاتٌ وطبيبات، بينما سنجد التنوع عند الفتيان "عامل، مهندس، جندي..إلخ إلخ».

"المرأة من اختراع الرجل"، وبما أنه لا يستطيع أن يتعامل مع موضوع دون تصنيفه، لذا فإن المرأة ستكون هي "الأم والأخت والزوجه" في حال كان الرجل من مجتمع تقليدي، وستكون المرأة هي الطبيبة في حال كان برجوازيّا، أو يودُّ أن يصبح كذلك. وستكون هي المرأة العاملة في حال كان يساريّا. وقد تكون هي الأنثى المقدسة، أو الوردة، في حال كان شاعرًا.

أحمد رضي

نحن نتحدّد اجتماعيّا بأدوارنا، أما كينونتا فهي شأنٌ صوفي أو شعري. فإن لم تكن المرأة هي الأم والأخت والزوجة، لا أدري إن كان لا بدّ أن يكنَّ بهذا الترتيب دائمًا، فما هي المرأة إذًا؟.

صحيحٌ أن الجملة مكررّة، وتطرح أمرًا بديهيّا، فلا يمكن أن تكون المرأة هي الأب مثلًا. لكنها ضروريّة مع ذلك، أو كانت ضروريّة في وقتٍ ما ضمن المجتمع التقليدي. بينما مع دخول الحداثة ستصبحً هي الطبيبه والمعلمة والمهندسة، أي ضمن مهن الطبقة الوسطى، حسنًا.. أليست عاملات المنازل «امرأة» أيضًا؟. فما هي المرأة إذاً؟.

أو فلنقلب السؤال، ما هو الرجل؟ إذ يبدو الرجل وكأن وجوده أمرٌ بديهي في الحياة، في حين أن المرأة كأنّما هي كائن ملحق يحتاج إلى تعريف دائمًا؟.. هل يمكننا أن نقول إذاً، المرأة هي المرأة، وكفى؟. أم نعيدُ تعريفها بما نظنه جوهرها من مثل «الرقة، النعومة، اللطف، العاطفة» بعيدًا عن دورها الاجتماعي أو المهني؟.

لعلّ أدقّ تعريف يمكن أن نتفق عليه هو التعريف البيولوجي. ولكن.. لم تكن البيولوجيا محلّ صراعٍ في الغالب، فلا يريد الرجل أن يلغي هذا الاختلاف البيولوجي. كما أن المرأة هي أيضًا لا تريد أن تتنازل عن جسد الأنثى، وإنما هي ضد استعمال البيولوجيا لتبريرأو تأطير دورها الاجتماعي أو المهني.

بعيدًا عن تلك الاسئلة، ألا يمكن أن تَجمع المرأة أدوارًا متعدّدة اجتماعيّا ومهنيّا وبيولوجيًا، بل حتى في ما نظنه جوهرها، سيكون قابلاً للتجدّد والتبدّل ـ ليست كلّ النساء لطيفات على أية حال.

هذا يذكرني بمأزق «سنفورة» في فيلم «القرية المفقودة»، لأنها ستجد أنّ لكل سنفور هويّة تتعلق بدوره ضمن الجماعة، سنفور طباخ، سنفور مفكّر إلخ إلخ..بينما هي مجرّد سنفورة وكفى، بلا أية موهبة سوى سنفوريتها.. ويبدو أنّ الفيلم حلّ معضلة سؤالها عن من تكون سنفورة بالقول : «إنها كل شيء تود أن تكونه». وهذه الإجابة، رغم أنها تطرح جوهرها كإمكانيّة، إلا أنها لا تقول شيئًا، فكل شيء قد يعني أيضًا لا شيء، فإلى متى ستستمر بكونها مجرّد إمكانية لتكون شيئًا؟...هذا يشبه قولنا «المرأة هي المرأة».. هذه الجملة لا تقول شيئًا أيضًا، سوى أن يفهمها كل شخص حسب مزاجه أو أن تدغدغ الخرافة حول كون المرأة كائنًا غامضًا وسحريًا كلّما أوغلَت في استكشافه تهت. وهي الخرافة التي تستسيغها المرأة أيضًا إن هي تمثّلتْ هذا الدور، أي دور الطبيعة المغويّة والغامضة.

فهل السؤال عن ما هي المرأة، هو سؤال خاطئ أو تافه؟ كوننا لا نحتاج لأن نسأل ما هو الرجل؟.

طبعًا لا.. لأن الرجل يحتاج إلى تعريف أيضًا، فكل تعريف ليس سوى خلاصة حضاريّة. فما هو الإنسان مثلاً؟ هذا ليس سؤالاً تافهًا؟ إنه أبو الأسئلة.. يمكننا أن نقول بأنه "خليفة الله" ويمكننا أن نقول بأنه "حيوان ناطق"..إلخ إلخ..

لكن أن نقول بأن الإنسان هو الإنسان، فهذا لن يضيف شيئًا.

ما هو الإنسان إذاً؟

تقول الكاتبة "سيمون دي بوفوار": "بأن المرأة إذا تصرّفت كإنسان يُقال عنها متشبّهة بالرجل". فما الذي كانت تعنيه بالتصرّف كإنسان؟

لا أظنها كانت تقصد، حين تأكل وتشرب وتمشي على قدمين مثل الإنسان. فحتى أعتى الأنظمة التي تضطهد المرأة، لن تختلف بشأن كون المرأة إنسانًا. بل ونتيجة لإيمانها هذا ستضطهدها ـ حفظاً لكرامتها الإنسانيّة ـ!

إذً، يبدو أن الخلاف الحقيقي هو فيما نعنيّه بـ"الإنسان"، والذي أراه لا يتجسّد إلّا في ثالوث "الاستقلاليّة ـ الحريّة ـ الإبداع". فإذا انتفت هذه الصفات فإن الإنسان لا يكون إنسانًا إلّا من ناحية بيولوجيّة.

فلا يمكن أن أقول بأن المرأة إنسان، إلا إذا كان هنالك ما يستدعي هذا، كأن يأتي فيليسوف من العصر الروماني لأناقشه مثلاً. هذا أمر مفروغٌ منه حاليًا. وإذا قلتها لا بدّ أن يكون معنى "الإنسان" واضحًا بيننا. فهل تعني المساواة في الإنسانية إلغاء كل ما يشكّل هويّة الفرد ويمنحه فرادته؟.

ستتفق الأنظمة المضطهِدة للمرأة بأن للمرأة تميّزها الصائن لإنسانيتها. وهنا سأتفق مع تلك الأنظمة في أن التمايز هو الذي يشكّل إنسانيتنا حقّا. فلا يوجد إنسانٌ محض أو إنسانٌ تجريدي. لكنني سأختلف في من عليه أن يشكّل هذا التمايز أو أن يفرضه على الآخرين؟. إنه الفرد ذاته، الذي إن تخلّى عن هذه المهمّة، فقد إنسانيّته.

من العبارات الشائعة "عليّ أن أنظر للمرأة كإنسان قبل ان أنظر إليها كأنثى، أو قبل تصنيفها جنسيًا".

وهذا أظنّه أمرًا غير ممكن.. لا بدّ أن أراها بكليّتها التي تشكّل فرادتها. مثلما أنظر للرجل بكليّته. قد يكون هذا الرجل مسلمًا، عربيًا، ولديه جملة من الطباع النفسية والجسديّة.. كل هذا وأكثر هو ما يشكّل إنسانيته. التي عليّ أن احترمها سواء أحببت ذلك فيه أم لا.. فلا يوجد إنسانٌ تجريدي، الرؤية لا بدّ أن تكون متلازمة لكل ما يشكّل هويته التي يطرحها في المجال العام. لأن على هذا تترتّب أمورٌ عمليّة وأخلاقيّة كثيرة. الأمر يشبه تلك الذكوريّة المغلفة بالثقافة، التي تحتجّ بأن المساواة غير ممكنة. لأن كثيرًا من النساء مثلاً تفضّل أن تُعامل برقة. فلا يمكننا أن نمزح معهن بفظاظةٍ ورعونةٍ مثلما نمزح مع أصدقائنا الذكور.

تلك العقلية لا ترى المساواة في الاختلاف، وإنما في التشابه فقط. كأنَّ لسان حالها يقول: "حسنًا.. تردن المساواة ها.. سنعاملكن مثلما نعامل الرجل لنؤدبكن". بينما الإحترام يقوم على أن أعاملك حسب وضعك الذي تقدّمه أنت بإرادتك. لا أن أفرض عليك رؤيتي التي أراها تجعلك ندًا أو شبيهًا يستحق الاحترام... على هذا الأساس سأحترم المغاير لديانتي أو عرقي أو هويتي، ليس لأنه يشترك معي في البيولوجيا، ولكن لأنه مختلف عنّي تحديدًا...أن أحترمه بما هو مختلف وليس بما يشبهني فيه.

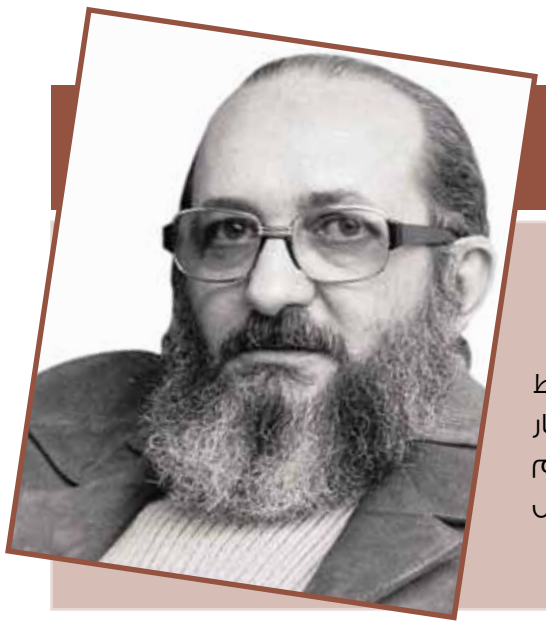

الليبراليون الجدد في مواجهة التقدميين *

باولو فريري
ترجمة: د. سامي محمد نصّار

من وجهة نظر الإيديولوجيا والقوة اللتين تمتلكهما الليبرالية الجديدة، فإن التربية النقابية يجب ان تهتم فقط بكيفية التغلب السريع والحاسم على المشكلات ذات الطبيعة الفنية وعلى الصعوبات البيروقراطية. وفي إطار هذه النظرة أيضاً فإن القضايا الاجتماعية والسياسية النابعة من إيدولوجيات معينة، لا تتدخل في دائرة اهتمام الممارسات التعليمية، التي ينبغي أن تكون محايدة في المقام الأول، وهذه السمة يمكن الحفاظ عليها، من خلال تدريب شباب العمال الذين هم في حاجة إلى المعرفة الفنية التي تؤهلهم للدخول إلى عالم الإنتاج.

ويتفق الليبراليون الجدد والتقدميون على المطالب المعاصرة للتكنولوجيا؛ إلا أنهم يختلفون فيما بينهم تماماً، فيما يتعلق بالاستجابة التربوية السياسية لها.

وبالنسبة لنا كمفكرين تقدميين، فإننا نرى أنه لا يمكن أن يوجد تفكير حول التعليم الفني في المطلق وفي حدّ ذاته، تفكير لا يطرح تساؤلات عن كيفية توظيف هذا النوع من التعليم لصالح مَن وضد مَن، ولأجل ماذا وضد ماذا. أما المفكرون البراجماتيون، فيرون أنه طالما لم يعد هناك يمين أو يسار.. فمن المهم أن نجعل الناس أكثر كفاية للتعامل مع العقبات والمشكلات التي يواجهونها.

ومن الفروق الجوهرية بين الفكر البراجماتي والتقدمي، هو أن ما يعدّه البراجماتيون أمراً استراتيجياً، قد يكون في ظل ظروف معينة أمراً تكتيكياً بالنسبة للتقدميين، وما يعد استراتيجياً بالنسبة للثاني دائماً ما يرفضه الأول.

وعلى الرغم من الفروق بين القرن الثامن عشر والعصر الحالي – والتي تتطلب تحسين طرق التحليل ومناهجه، وإعادة تشكيل التقنية الحديثة وانتاج المعرفة الجديدة – على الرغم من ذلك – لم تختف سيطرة الأقلية على الأغلبية. وأود هنا أن أؤكد الموقف المقلق الذي يعيشه مفكرو العالم الثالث؛ فزملاؤهم المعاصرون لهم في العالم الأول يناقشون معهم قضايا ما بعد الحداثة، بينما يعيشون هم في حالة من الاستغلال الذي لا حدود له وتتسم بسيطرة الرأسمالية البالية والفاسدة والتابعة.

والمفكرون البرازيليون الذين يقررون أن الترفيه وليس العمل هو الموضوع الرئيسي في عصرنا الحالي، يتعاملون مع واقع يتضور فيه جوعاً 33 مليوناً من سكان البرازيل الباغ عددهم 150 مليوناً.

ان الثورة التكنولوجية المستمرة والمتسارعة – وهي الحصن الحصين الذي تحتمي به الرأسمالية في مواجهة الإشتراكية، والتي غيّرت الواقع الاقتصادي والاجتماعي – تتطلب فهماً جديداً للوقائع التي يجب أن يؤسس عليها الفعل السياسي؛ فلم يعد من الممكن حالياً أن تستخدم في أكثر مناطق العالم الثالث تقدماً، الأساليب السياسية التي كانت تستخدم في منتصف القرن العشرين.

إنني لم أشعر بالحاجة إلى العمل الجاد والبحث الرصين والدقيق، والتأمل النقدي حول القوة المهيمنة التي أخذت تتسع أبعادها وجوانبها، قدر ما أشعر بها اليوم، فلا يجب أن يوقف نشاط المفكرين التقدميين عند النقطة نفسها التي يتوقف عندها غيرهم، عندما يعترفون بخطورة العقبات ولكنهم يعتبرونها مستحيلة الحل، وهذا الموقف موقف قدري غريب عن مهمة المفكر النقدي، الذي يتعين عليه أن ينظر إلى العقبات باعتبارها تحديات عليه أن يبحث عن حلول مناسبة لها.

وفي ضوء السيطرة الحالية على المعلومات وسهولة تداولها وإدارة شبكاتها لصالح الأقوياء، يصبح من اليسير علينا أن نتخيل الصعوبات التي يواجهها أولئك الذين يعيشون على أطراف الدائرة، والى أي مدى تكون قدراتهم محدودة، فعلى سبيل المثال لا يستطيع العاملون في حقول فول الصويا في البرازيل أن يتخيلوا مدى شهرة إنتاجهم وقوته في سوق الأسهم بمدينة شيكاغو.

"إن أحد التطبيقات الأساسية لامتلاك التكنولوجيا الخاصة بالمراقبة والاستشعار عن بعد والاستفادة منها، وكذلك نظم المعلومات الجغرافية وقدرتها على التنبؤ بالتغيرات البيئية، والبيئة هنا تعني الطبقات الطبيعية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية، التي تراكمت بفعل المواجهة الجدلية بين الطبيعة والإنسان. إن الأنواع السابقة من التكنولوجيا تجعل من الممكن، من خلال رسم خرائط دقيقة، تحديد مواقع حدوث الظواهر البيئية وتصنيعها وتقييم أثارها والتنبؤ بها، وكذلك التوصل إلى معلومات أساسية لدعم القرارات السياسية والاقتصادية المتعلقة باستغلال الموارد البيئية، وعلى سبيل المثال يمكن توجيه مثل هذا الدعم التكنولوجي نحو التوصل إلى تقدير مبكر لمدى جودة المحاصيل الزراعية أو سوئها، وبالتالي يمكن جني أرباح طائلة في الأسواق، بناءً على المعلومات المبكرة (خطاب إلى المؤلف من البروفيسور جورج خافير داسيلفا من جامعة ريو دي جانيرو الإتحادية 1994).

وعلاوة على ذلك، ليس لدينا بعد شيئاً نقوله حول السهولة، التي يمكن بها نقل الإنتاج من مكان إلى آخر في العالم، والتي تجعل موقف العمال أكثر ضعفاً في نضالهم ومواجهاتهم لقوى السوق، نعم ففي ظل عولمة الاقتصاد من الممكن أن تفقد الإضرابات فعاليتها في قطاعات إنتاجية معينة.

إن كل ذلك يقوي من قبضة القلة التي تمارس السلطة على الأغلبية المستكينة وتجعل نضالها في غاية الصعوبة، ومع اعترافنا بالطبيعة المأسوية لعصرنا الحالي، فإن ذلك لا يعني أن نستسلم...إن نضال الرجال والنساء قد تواجهه الكثير من العقبات، وقد يتأخر النصر، ولكنه لن يغيب أبداً.

وبـــــدلاً من القدرية الجامدة، فإنني أقترح التفاؤلية النقدية، التي تدفع بنا إلى النضال من أجل المعرفة المتوازنة التي تتعلق باحتياجات العصر من ناحية، وترتبط بمصالح الطبقات التي جرى استغلالها من ناحية أخرى.

وعندما أتحدث عن الأمل في تغيير العالم، فأنا هنا لا أقصد أن أكون مربيّاً حالماً وساذجاً...وحتى إذا تحدثت بهذه الطريقة، فأنا لا أغفل مدى الصعوبة في التركيز على احتياجات المقهورين، أولئك الذين حيل بينهم وبين الوجود...إنني أدرك الصعوبات التي يمثلها "النظام العالمي الجديد" للمناطق الهشة المتناثرة في هذا العالم، مثلها مثقفيها الذين دفعتهم الصعوبات إلى اتخاذ مواقف قدرية في مواجهة تركز القوة.

إنني أعرف بالواقع، وأعترف بالعقبات التي تواجهني، ولكنني ارفض الإنسحاب في صمت، وأرفض أن أختزل إلى مسخ، أو أتحول إلى صدى ناعم وخجول ومتردد وخاضع للخطاب السائد والمسيطر، لا زال يثيرني موقف بيرينجيه Berenger بطل مسرحية "الخرتيت" ليوجين أونسكو Eugene Ioncso، هذا الموقف الذي يتسم بالدون كيشوتية، فمنذ البداية كان بيرينجيه معارضاً لرفاقه الذين تحولوا، واحداً إثر الآخر، إلى خراتيت على الرغم من ندائه.

سلاحي – سلاحي
سأواجه بك العالم أجمع
وسأدافع عن نفسي
سأكون آخر إنسان
ولن أتخلى عن سلاحي إلا ميتاً
ولن أساوم ابداً

Eugene Ionesco Rhinoceros،Paris،Edition) Gallimard 1959، P 246)

وعندما أقول إنني أرجو أن أكون شخصاً، فإن ذلك بالضبط بسبب مسئوليتي الأخلاقية والسياسية تجاه العالم والناس، وبن يكون لي وجود دون الأخرين، وفوق كل هذا لن يكون لي وجود إذا وقفت في طريق وجود الأخرين، إنني كائن بشري وأنا إنسان ولست خرتيتاً كما كان يصرخ بيرينجيه.

---

* نقلاً عن كتاب: "تربية القلب – في مواجهة الليبرالية الجديدة"، إصدار الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ٢٠٠٧

البياض المرعب

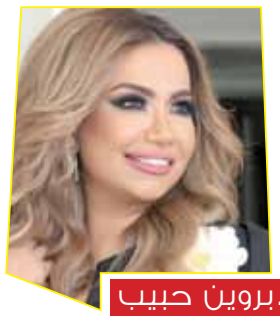

د.بروين حبيب

بالصدفة وقعتُ على مقال لنيران العبيدي عن العجز عن الكتابة، قرأته لأن الموضوع يؤرقني شخصيا، لأني بدأت نصًا طويلًا، كتبت فيه الكثير، ثم ركنته جانبا، مضت سنة، ثم سنتان، وها نحن في الثالثة ولا شيء ينبئ أنني سأتممه، مع كل الزخم الذي يعشش في رأسي من أفكار، مع كل الرغبة التي تحثني لإتمامه، إلا أني كلما جلستُ إليه انطفأت الكلمات، وحلّت العتمة في رأسي، تخبو المشاهد التي كانت تملأني وأنا أسوق سيارتي، تختفي تماما كل الإيحاءات الجميلة التي تسكنني وأنا مع العمل أو مع الأصدقاء، لكن كلما اختليت إليه خبا كل شيء.

من بين الأشياء التي وردت في المقال السابق الذكر إعتراف لكاتب منعته الأدوية المضادة للإكتئاب من الكتابة. قال: "إنها تمنعني عن الكتابة، تسلبني مشاعري، تجمد الدموع في أحداقي، أنا بحاجة للدموع وإلى المشاعر في كل لحظة أعيشها...."، ويصف لحظة العجز تلك: "إنها لحظة الشعور بالعوق عن الكتابة، العجز الذي انتابني من البوح". و يبدو أن المقارنة بين عجز وعجز تقودنا لذكر عمالقة الأدب الذين أنهوا حياتهم حين توقفت أقلامهم عن الكتابة لأسباب عديدة، لكنها حتما ليست السبب الذي أعاني منه ولا أعرفه.

يقال إن مراحل القحط هذه عادية، وإن الكاتب الغزير الكتابة عمره قصير، ليس بمعنى عمره المحسوب بالسنوات، بل العمر المحسوب بأمد قراءته... فالكاتب أيضا يعيش فصول عطائه كما تعيش الطبيعة كلها تلك الفصول، والأكيد أن فاكهة أفكاره تحتاج لوقت كاف لتنضج، أما السلق السريع لها، فلن يعطينا المذاق المطلوب.

يعيش الكاتب عمرين، عمره كإنسان، وعمره ككاتب، أما نقاط التلاقي بين الإثنين فإنها تظل سراً يخصّ كل كاتب، ويصنع تميّزه عن غيره. ترتبط الكتابة بالتجربة اللغوية، والموهبة، والمغامرة لخوض معركة الظهور، لكنّها قبل كل هذا ترتبط بلحظة التورّط في الكتابة، وعدم القدرة من الخلاص منها، أستعمل كلمة خلاص لأني أراها مغامرة، قد تكون نهايتها غير مرضية، كما قد تكون نتائجها جيدة، تلك اللحظة التي تلقي فيها الكتابة القبض على أهدافها، قد تمر بلحظة تخل، حين يقف سيل الكلمات عن التدفق في رأسه، حين يصمت ذلكً الصوت الذي يسكنه ويوشوش كل الوقت له بما يجب فعله، تلك الرفقة العجيبة بين إنسان ولغة قد تنتهي بكارثة الحبيب الفاقد لمحبوبه، دون أن تكون انتحارا بالضرورة، لكنها في كل الحالات موت ما ...!

إرتباط الكاتب بالكتابة، قضية حياة أو موت، عقد أبدي، إن أخلّ به أحد الطرفين خسر الآخر بالضرورة، ثم انعكست تلك الخسارة على الإثنين.

في تاريخ الأدب والأدباء، مرّ كثيرون بفترات قحط موجعة، جفّت فيها أقلامهم، ونضب فيها نتاجهم، بعضهم يصف تلك الفترات بفترات مرض حقيقية، "المرض المخزي للكاتب" و"شبح البياض المرعب" مرض تلف الأعصاب، الجنون والإنهيار والصدمة في خلطة واحدة، أمام ذلك العجز الذي لا وصف له، وقد لا يكون عجزا بل قلّة تقدير، أو لنقل تحقيراً لكل كلمة نكتبها، فتبدو لنا باهتة، وضيعة، مجرّدة من أي معنى، خاوية من الإحساس الذي نشعر به، يصف البعض الآخر هذه الحالة بمرض الشك، أو الوسواس ، كونه يشكك في كل كلمة يكتبها، فيكتب غيرها عشرات المرات، قبل أن يتوقف عن البحث عن المزيد.

لا أحد يستطيع أن يتنبأ بهذه المصيبة، ولا أحد بمأمن منها. حدث مثلا أن أصيب كاتب عظيم مثل جاو كسينجيان بهذا المرض، مباشرة بعد نيله جائزة نوبل سنة 2000، وقد صرّح قائلا "ثقل جائزة نوبل سحقني تماما، لقد أنهيت كتابة مسرحية خامسة بعنوان "القصة الليلية" سيتم نشرها من طرف ناشر أكاديمي صغير، أمّا كتابة الرواية فقد أصبحت مستحيلة " لنا أن نتخيل حجم المعاناة التي حلّت به، وهي معاناة مضاعفة، منها ما يشعر به، و منها ما يمارسه الآخرون من ضغط عليه، بالأسئلة المتكررة ، هل كتبت اليوم؟ حاول، ننتظر منك رواية أجمل ...إلخ

تجربة جاو تظل أخف من تجربة الكاتب الإيطالي "إيتالو سفيفو" الذي قبل أن يكتب رائعته "ضمير السيد زينو" ظلّ عاجزا عن الكتابة لأكثر من عشرين سنة، العجز لازمه مع تأنيب ضمير، كما يلازم آخرين عبر كل الأزمنة، لأنه يشبه الخيانة، ويشي بالفشل مع أن الأمر لا يتعلّق أبدا بالفشل، بل بتقييم ذاتي واهم...

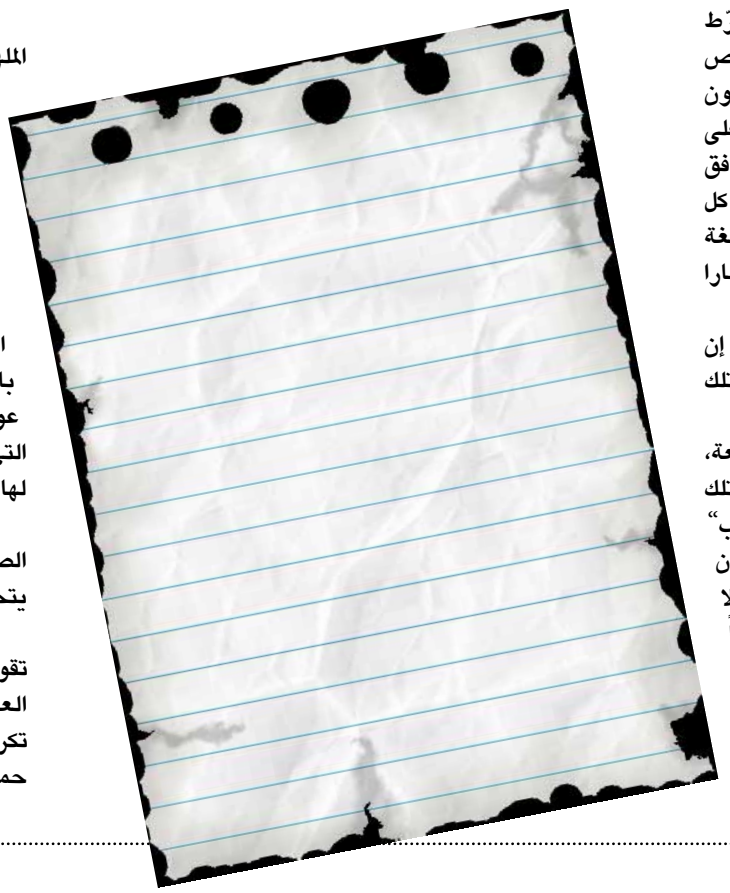

المختصون أمام هذا كله، يشرحون سر المعضلة، وأنها تتعلّق بالدرجة الأولى بعلاقة الكاتب بالكتابة، فقد تنجح هذه العلاقة وقد تفشل، إنطلاقا من زاده الخاص لغويا وفكريا. ثم بالدرجة الثانية تتعلّق بالمتلقي السلبي الذي يهرس كاتبه بالإنتقاد السلبي الذي قد يصل إلى تخوينه وطنيا أو اتهامه بالإلحاد كما حدث كثيرا في عالمنا العربي، ما جعل أسماء تختبئ مؤقتا، وقد أصيبت بخرس مؤقت من هول التهديدات و التحذيرات والرسائل السلبية معتقدة أنها غير صالحة للكتابة، لنتذكر بعض الجمل القاتلة التي تضع كاتبها في القبر مباشرة وتدفنه حياً، حدث ذلك لنصر حامد أبو زيد، وعبد الله القصيمي، وسيد محمود القمني، ووجدي الأهدل، ورشيد بوجدرة، وآخرين .

لقد كان النقد اللاذع السلبي أكثر الأسباب التي أدخلت بعض الكُتَّاب في حالة عجز عن الكتابة، لأن تلك الكلمة الجارحة، الخطيرة، التي توجه لكاتب بعينه، تشبه مشنقة سرعان ما تحيط برقبته، وتضع حياته على المحك.

أخيرا نسأل أين عامل الإلهام بين كل هذه العوامل؟ مع أنّه لا يخفى على أحد أن "الحب" هو الملهم الأول والأخير للكاتب، حب القضية، حب الآخر، حب النجاح والشهرة.

وقد تنتصر المرأة بين كل هذه العوامل، لهذا تختبئ "الحبيبة الملهمة" في كواليس حياة بعض الكتاب، كما قد تصبح إدمانا مثل الإدمـان على الكحول، وتدخين الحشيش، التي تطلق عنان اللغة وتقلل من خوف المواجهة. ولنا في هذا الموضوع بالذات قصصا لا تنتهي، عن زيجات فاشلة، وخيانات ترمم ما تصدّع، وعلاقات غير مستقرة وسلوكات مهينة أحيانا يقع فيها البعض فقط من أجل إنقاذ شغف الكتابة، وجذوة الروح .

أمور معقدة تحدث، والسبب هذا البياض الذي يلتهم الكاتب حين يعجز عن الإنتصار عليه، البياض/ الكفن المنبئ بالموت، والذي يجعله يتصرف مثل تلميذ مشوش، لأن أهم عوائق الكتابة قد ترتبط بتجارب الطفولة، والصدمات الصغيرة التي تسبب فيها البالغون بانتقاداتهم الجارحة، والقسوة المرافقة لها، والإصرار على بلوغ الكمال وإلا فأي إنجاز يعتبر فاشلا.

يقضي "كاتب الكمال" هذا الكثير من الوقت باحثا عن الصيغة الصحيحة، ويعود إلى ما يكتبه، فيشطب ويغير، ويضيف، ولا يتحرّك العمل إلى الأمام أبدا، فيبقى حبيس عدم الرضى.

خلاصة القول هي أن الصعوبات والصدمات التي نواجهها، تقودنا إلى تكوين معتقدات حول أنفسنا، وعن الآخرين، وعن العالم. تصبح هذه المعتقدات مرجعنا ويبدو أنها تحمينا من تكرار الآلام التي عانينا منها. لكن هذه المعتقدات هي وسائل حماية زائفة تمنعنا من المضي قدمًا والإستفادة من مواهبنا.

«النبيذة» وإيقاظ الشجن

بقيت بغداد ولازالت الشاطئ الاخر لحلمٍ جميل مستعاد من حياةٍ سابقة. أربعون عاما تفصلني عن ذلك التاريخ حين انتظمنا كطلاب في جامعة بغداد العريقة، وكما يذكر د.هاني الراهب في روايته «رسمت خطا في الرمال»: «في تاريخ العالم ثلاث مدن خرجت من دوائر الجغرافيا والسياسة الى أفق الأساطير والرموز الثقافية. اثنتان منها هنا: بابل وبغداد باب الإله، وعطية الإله، والثالثة هي روما».

أربعون عاما وأنا في شوق دائم لتلك المدينة، تعلق في ذاكرتي رائحة الهواء وزوايا الطرقات وطعم الأمكنة التي زرتها وقضيت احلى أيامي فيها، الاعظمية، الشورجه، الكاظمية، باب المعظم، شارع الرشيد، السعدون، كربلاء، النجف، كرادة مريم ... إلخ.

حميد الملا

كل هذه الأمكنة شاخصة أمامي عندها تيقنت بأن رواية كرواية إنعام كجه جي (النبيذة) كفيلة بايقاظ كل هذا الشجن والحنين للعراق ونكأت جروحا لم تندمل بعد لما آل اليه الوضع فيه، بعد أن نهشت جسمه الضباع وتكالبت عليه الجيوش من كل الأصقاع بينما كان ينظر اليه بمهابة وعزة وكرامة في زمن قد ضاع.

رحت ألملم حنيني عند قراءتها وعادت بي الذاكرة لتلك الأيام الجميلة التى لا تنسى، وأكثر ما راود ذاكرتي بشحنة الرعب هو ما فعله ويفعله الحكام بشعوبهم وأوطانهم ليجلبوا الدمار لتلك الأوطان ويحيلونها الى رماد.

وبرهافة الأطفال تجاه جماليات العالم أصغيت لكل كلمة ولكل صفحة من تلك الصفحات الثلاثمائة والخمسة وعشرين مستمتعاً بالأسلوب والفن الروائي.

برشاقة وبراعة نجحت إنعام كجه جي في إثارة وإنعاش الذاكرة ومشاغبتها الجميلة لها وأخذتني الى الأجواء التي لازمت فترة من أجمل وأروع الفترات في حياتي، فكانت "النبيذة" خير معين لاستنطاق ما قد خبا على مرّ هذه السنين الطوال واستعادة شريط تلك الفترة.

روايـة تقاطرت فيها الأحـداث لحقب متباعدة من الزمن ولشخصيات جمعتهم هموم الحياة ومصائب الأوطـان وكوارث الأنظمة ليلتقوا فى المنفى بعد ان عجز الوطن عن احتوائهم، فالشخصيات الثلاث تاج الملوك عبد المجيد الصحافية صاحبة مجلة "الرحاب" المشاكسة والجسورة، منصور البادي زميلها الفلسطيني في إذاعـة كراتشي الـذي هاجر إلى فنزويلا ووديان الملاح عازفة الكمان في الأوركسترا السمفونية العراقية التي عوقبت من قبل إبن رئيس النظام البائد وأصابها صمم في الأذن لازمها طوال حياتها بسبب تمردها على نزواته.

يفعل الزمن فعله في كل شخصية من هذه الشخصيات ليرووا ما عاشوه من خلال حبكة فنية رائعة لسيناريو رائع أوصلته إلينا الكاتبة ببراعة وتصوير دقيقين.

روايـة يجتمع فيها الحب بالموسيقى والشعر بالجاسوسية في توليفة لا تخطر على بـال، كما أن السياسة حاضرة من خلال الأحـداث السياسية التى مرت على العراق منذ الإستعمار الإنجليزي ونضالات الشعب العراقي في تلك الحقبة وإعـدام قيادات الحزب الشيوعي العراقي وعلى رأسهم سلمان يوسف (فهد) ورفيقيه زكي بسيم وحسين الشبيبي المعروفين باسميهما الحركيين حازم وصارم الذين أعدموا في العام ألف وتسعمائة وتسع واربعين.

ما يميز هذه الرواية هو أسلوبها الممتع، عبر سرد الأحـداث بلغة جميلة وأحيانا باللهجة العراقية المحببة، وبالشعر والغناء العراقي تصيغ إنعام رواياتها وبتمكن واضح كي تترك للقراء متعة القراءة، وهم يتابعون تسليط الكاتبة للضوء على حقبة مهمة من تاريخ العراق، حيث نجحت في رسم ملامح شخصياتها بدقة وأعطت لها أدوارا كما لو أن روح الحياة قد دبت في كل شخصية منها، فأبرزتهم كما لو أنهم احياء بيننا.

فى مهب الحنين قضيت وقتا ممتعا لاستعادة ما ولى من زمن لن يعود بعد أن دمرته الحروب وحاصرته الجيوش التي أحالت البلد الى خرائب، وجثم على صدور شعبه حكام قساوة ظلمة.

بعد قراءة آخر سطر من تلك الرواية أحسست بزفرة من الألم تقبض على صدري لما آل اليه العراق وشعبه العريق، حيث أصبح فيه المواطن جثة مرقمة ومختومة لتسلم للأهل ليدفنوها.

فشكراً للدكتور حسن مدن في إشارته لي بقراءة (النبيذة)، ومعنى هذه المفردة كما وجدته في معجم المعاني الجامع: صفة ثابتة للمفعول من نبذ، ملقي، مهمل، متروك، منبوذ.

ما الذي شدّ بول نيزان لمدينة عدن؟

«كنت في العشرين من عمري، و لن أترك أحداً يقول إنه العمر الأجمل في الحياة»، هي عبارة خطّها الكاتب والفيلسوف الفرنسي الشاب بول نيزان على صفحات مذكراته قبل أن يهرب من باريس ويشدّ رحاله إلى عدن في عام ١٩٢٦. في ذلك الوقت، كان يطبق على باريس الملل والضغوط الاقتصادية والاجتماعية المحكومة بمنظومة رأس المال. وكم كان نيزان يحتقر تلك المنظومة ويثور عليها من خلال كتابته التي كانت توصف «بالعنيفة»، لا وبل يدعو من حوله للثورة.

كان رجلاً ذا مبدأ، مسيحياً واشتراكياً في آن، شديد الإيمان بأهمية تزاوج الدين والفكر في شخصه. قضى وقتاً طويلاً يبحث فيه عن بلد يشبهه بعدما خاب أمله من فرنسا التي لم تعر اهتماما لأفكاره، فما كان منه إلا أن يبتعد، وكانت الوجهة عدن.

عُرضت عليه وظيفة مدرس لابن تاجر إنجليزي من أصل فرنسي يعيش ويعمل في عدن. استقل الباخرة وذهب معتقداً أنه سيجد في تلك المدينة ما يبحث عنه. كان المؤرخون وما يزال يقولون بأن كلمة عدن مشتقة من فعل «عدن» الذي يعني الإقامة، أي الاستقرار، وهذا تماما ما كان يبحث عنه نيزان، ففي حال وصوله إلى ميناءها، افتتن بالمدينة وأوجهها المتعددة. لاقى أهلها القادمين من لحج وحضرموت وأبيّن وشبوة والحديدة وغيرها، جلس معهم، وتطبّع بطبائعهم، دون أن ينسى دراسة الشعور الديني والروحاني للسكان المرحب به على خلاف طبيعة الحال في فرنسا.

رائع هو تدرج نيزان في سرد هذه الرحلة التي تبدأ بالمديح وتنتهي بالنقد، حيث يبدأ نيزان شيئا فشيأ بملاحظة سيطرة الانجليز على المدينة وطغيان رائحة المصانع على رائحة القهوة، ليكتشف لاحقاً بأن المنظومة الاجتماعية السائدة في أوروبا، هي ذاتها التي أصبحت السائدة في اليمن، كيف لا وأوروبا ما زالت هناك تغرس جذورها وتسلب خيرات البلد متجاهلة إرثه الثقافي والبشري». ماذا فعلتم بعدن ؟ حولتموها إلى قارة أوروبية ذات سحنة أكثر غضباً»– كتب نيزان في مذكراته غاضباً، متوغلاً في المسألة الاستعمارية التي ستغلب على مؤلفاته لاحقاً.

لقد قضى الاستعمار ببرجوازيته على الشرق من وجهة نظره، أوهنه، أضعفه، امتص روحه ودمه. نجد نيزان في مذكراته يتقلب بين السرد والوصف للحال الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لعدن وللعالم أجمع، وكأنه يُشنع بالبورجوازية التي تهيمن على معظم أجزاء هذا العالم وتفرض عليه ثقافتها وقيمها.

انتهت رحلته بعد عام ورجع إلى باريس، لينضم إلى الحزب الشيوعي مع لويس أراغون، و أندريه جيد، ويؤسس صحيفة خاصة بالكتاب الثوار. كتب حينها كتباً تحليلية عديدة في الأزمة الاقتصادية التي عانت منها الولايات المتحدة في ثلاثينيات القرن المنصرم ودعا الأمريكان لحذو خطى الاتحاد السوفيتي في إدارته لاقتصاده.

أخلص بول نيزان للحزب الشيوعي وعمل بلا كلل، إلا أنه شعر بأن الحزب خذله مع ولوج الحرب العالمية الثانية بصمته حيال توقيع نظام ستالين على اتفاقية ميونخ، فقرص قلبه اليأس من الحياة الحزبية وامتعض من رفاقه، وتحوّل شعور الاحباط لديه الى ثورة دفعته للمشاركة في الحرب مع صفوف المقاتلين حتى الاستشهاد.

بول نيزان هو مثال لرجل فضلّ الموت نبيلاً على المهانة. لو نقارنه بسارتر، قد نسخر من شدة خيانة هذا الأخير لمبادئه بقاعدتها الرخوة والمخجلة ، فمن كان يحارب النظام الامبريالي، مات وهو يؤيد الصهيونية.

نُسي سارتر ولم تنسَ عبارة بول نيزان التي أضحت في 1968 شعار الطلاب في مسيراتهم المدنية ضد أمراض النظام الفرنسي وبها يصرخون: «كنت في العشرين من عمري، ولن أترك أحداً يقول أنه العمر الأجمل في الحياة».

سوسن حسن

أدرينالين: السرطان يأتي من الخارج

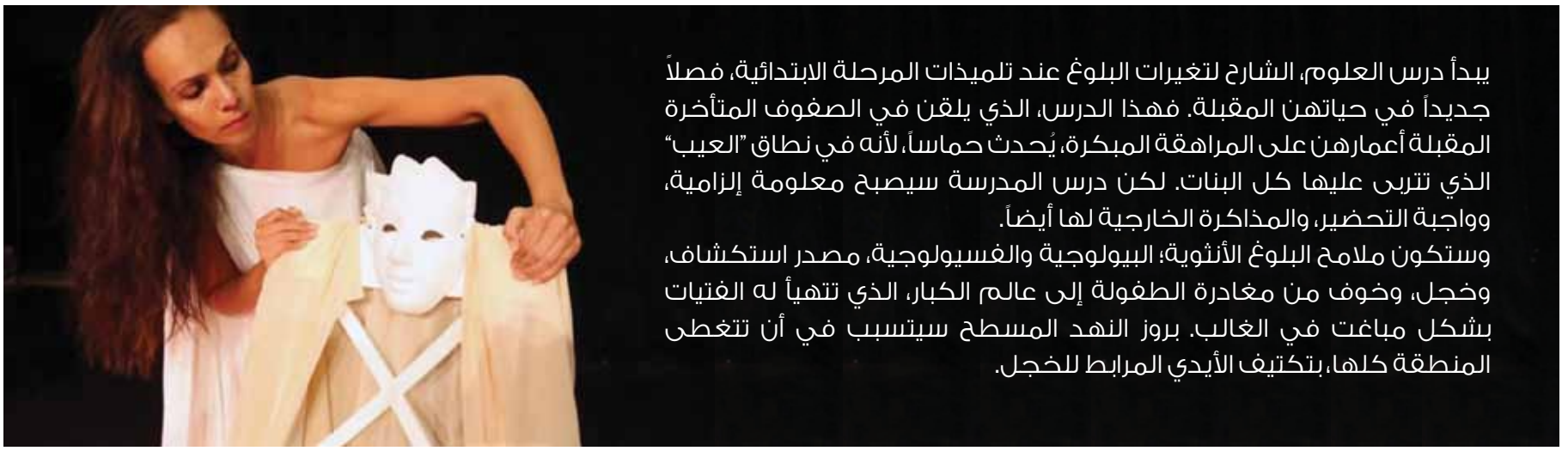

يبدأ درس العلوم، الشارح لتغيرات البلوغ عند تلميذات المرحلة الابتدائية، فصلاً جديداً في حياتهن المقبلة. فهذا الدرس، الذي يلقن في الصفوف المتأخرة المقبلة أعمارهن على المراهقة المبكرة، يُحدث حماساً، لأنه في نطاق "العيب" الذي تتربى عليها كل البنات. لكن درس المدرسة سيصبح معلومة إلزامية، وواجبة التحضير، والمذاكرة الخارجية لها أيضاً.
وستكون ملامح البلوغ الأنثوية؛ البيولوجية والفسيولوجية، مصدر استكشاف، وخجل، وخوف من مغادرة الطفولة إلى عالم الكبار، الذي تتهيأ له الفتيات بشكل مباغت في الغالب. بروز النهد المسطح سيتسبب في أن تتغطى المنطقة كلها، بتكتيف الأيدي المرابط للخجل.

زهراء المنصور

وحتى تتعود الفتاة نفسها على هذا التغيير، الذي يعبر بها إلى بوابات الأنوثة المكتملة؛ الزواج والأمومة لاحقاً، كأنه مصدر متصل للتجدد، والقبول، والخصوبة، والحب، والحياة بمجملها، يحدث أن تفقده بلا مقدمات.. ويحدث أن يتم استئصاله، ويحدث أن تتآكل المنطقة بفعل العلاج الكيميائي المخصص لمرضى السرطان المقيت. وهذه الحالة تضع جميع الإناث في هلع دائم من هذا المرض، الذي يهاجم بلا أسباب علمية مثبتة أكيدة يمكن تجنبها. ورغم عدد الناجيات الكبير، بفضل الفحص الفردي والطبي المتقدم، لكن الهاجس سيظل مشتعلاً من منجل السرطان، الذي يختار ضحاياه بعبثية مفرطة. تحرك هذه التفاصيل الوحشية حالات قُدِّمت درامياً، أغلبها كان عرضاً لهذه المعاناة، وفي أحيان أخرى كان عرض مناسبات تزامناً مع تواقيت عالمية لنفس المرض، ونفس هذه التفاصيل دفعت الفنانة الأردنية أسماء مصطفى لكتابة نصها المونودرامي "أدرينالين"، والذي نفذته فيما بعد تمثيلاً وإخراجاً.

امتلك هذا النص رهافة معنية بالألم الجسدي، والنفسي، والعصبي، لأنثى مصابة ومبتورة الثدي، تلف جزءها الفوقي بشاش طبي، أعاد شكل المنطقة مسطحة كما كانت قبل البلوغ. ويبدأ العرض بتعابير جسدية تكشف عن مرونة عالية للممثلة، في مساحة صغيرة لا تتجاوز الثلاثة أمتار، في تعبير عن الضيق النفسي والداخلي للشخصية، والتركيز في ذات الوقت على الحالة المسرحية. وهذا البعد الكوريغرافي يعطي تنوعات في الأداء، بالإضافة إلى ضبط الإيقاع وتنويعه، إذا ما التفت المتلقي إلى كون المونودراما مونولوجات طويلة –وحزينة هنا بالتأكيد– تسرد هنا المحطات التي مرت بها وشعرت بها كمريضة سرطان، لإيصالها كما يجب.

لذلك أدخلتنا أسماء مصطفى في "العشر دقائق" التي استمعت فيها إلى طبيبها وهو يشرح لها طريقة العمل الجراحي، وخطوات العلاج الكيماوي الذي سيكمل على ما تبقى، بعد أن يتجرأ مشرط الجراح في استئصال جزء من نسيج الثدي، أو مسحه بالكامل من خريطة جسدها، كأنه لم يكن! إن اختيار المؤلفة للثدي هو التقاط ذكي وعاطفي للغاية، كونه معنياً بجزء حيوي وظاهر من جسم المرأة، ومصدر اعتزاز خفي بأنوثتها، وهذا ما يؤدي إلى تدهور نفسيتها وتأزمها مما لو كان هذا المرض قد انقض على جزء آخر داخلي ومستتر من الجسم، رغم أن الألم البشع واحد. لكن لن تستطيع مريضة سرطان الثدي –حتى المتعافية– تجاوز نظرات الآخرين، التي يظهر الفضول عليها في معرفة إن كان الاستئصال جزئياً أو كاملاً؟ هل أجرت المريضة جراحة أخرى لترميم الاستئصال؟ هل تستخدم ملابس داخلية خاصة لتجاوز الشكل الخارجي؟ هل شريكها يقبلها في العلاقة الزوجية؟ هل روحها تنكسر كلما تحسست موقع الاستئصال؟ وهل يمكن أن تبدأ حياة عاطفية جديدة في وضعها المستحدث؟ وحزمة لا تنتهي من الأسئلة اختزلتها مصطفى في حوار سري ناطق: "ذاكرة المرأة في نهديها". لذلك، فإن "العشر دقائق" التي يتحدث فيها الأطباء ببساطة عن جحيم كامل في عمر الأنثى، تكون المريضة قد جالت في عالمها تتمنى أن هذه الدقائق كافية لتمنحك فرصة "الهروب الخيالي"، ألا يكون هذا حقيقياً وأن يكون محض كابوس مؤقت!

وتعاملت البطلة حياة/ أسماء مع نهدها –قيد الاستئصال– ككائن منفصل؛ له اعتباراته، وكينونته، وإحساسه أيضاً، عبر علاقته مع المحيطين، وفي سؤالها الفضولي بعد العملية عن مكان "سلة مهملات السرطان"! وضرورة أن يدفن الثدي المستأصل؛ رمز الحب، والحنان، والجمال، في مكان يليق به، وهو كذلك. فهذا الجزء، الذي اختاره العرض لكشف علة جسدية، وعلة مجتمع بأكمله، لا يشبه أي جزء آخر في جسد المرأة تحديداً. هل يمكن لأحد أن لا يتذكر الفنانة المصرية نبيلة عبيد وهي تظهر في شخصية المختلة عقلياً بفيلم "توت توت "، حين قادتها غريزتها لإرضاع طفلها الباكي جوعاً، وكشف الجزء العلوي منها كاملاً؟ سبَّب هذا المشهد، غير المألوف، صدمة كبيرة وقتها، ولكن المشاهد أيقن أن هذا الكشف الأمومي البحت لا يشبه كشف نفس الممثلة لجزء كبير من صدرها في أفلام أخرى، تصنف أنها أدوار أنثى مغرية مثلاً. وعليه، فإن ما يعوَّل عليه في العرض هو "التوظيف"، وليس الإظهار المباشر.

ولا يكتفي "أدرينالين" بالتعرض للاستئصال العنيف، والجسد الذي ينتهك، بل إنه يصارح المتلقين بالبداية الحقيقية/ المرهقة للعلاج الكيماوي، الذي يفقد المرأة مقومات جمالية أخرى؛ شعر رأسها، وشعر رموشها، ونفسية تعبة مرهقة، قليلات هن من يعبرن بشجاعة، ويتقبلن أنفسهن، إلى حد نشر صورهن في وسائل التواصل، والظهور بشكلهن بعد العلاج، صادمة، وموجعة، وفي داخلهن حافز للعبور الآمن، تحت أعين المراقبين القلقين الذين يتمنون الشفاء والصمود لهذه الحالات، واعتبار أن كل هذه المرحلة مؤقتة، رغم الضيق، والبرد، والألم، والذي عبَّرت عنها

أسماء حين تخترق إبرة السيروم وريدها، وتشعرها بضرورة الانتحار! لولا تذكرها أسماء فنية معروفة أصيبوا وقاوموا حتى الرمق الأخير، وهو مدعاة لتحمل عبور المرحلة بكل ما فيها، لكن العرض هنا انتقل إلى المباشرة في السرد، والذي قد يربط المتلقي عاطفياً بالأسماء المذكورة، أو يداخله الالتباس حول بطلة العرض: هل هي حياة الممثلة/ أم أسماء مصطفى التي نعرف؟ هل عبرت عن عاطفتها تجاه تلك الأسماء، بحكم ارتباط الصداقة بينها وبين ريم بنا/ نضال سيجري/ سعيد السيلاوي، أم هي عينات شهدنا مراحل مرضهم حتى مفارقتهم هذه الحياة، بحكم وجودهم تحت الأضواء؟

يعيش المتلقي –خاصة لمن واجه هذا المرض بنفسه أو أحد أقربائه– المعاناة التي تصفها أسماء بدقة وألم، لكن الربط الذكي الذي يحسب لصالح العرض، أنه من الطبيعي الإصابة بهذا المرض الخبيث في حياة الذل هذه في العالم العربي، "بل أحسست بأنني صرت أنتمي إلى زمني العربي، حين أغدو متسرطنة.."، كل الأوضاع المنتقدة، والتي ننقم على وجودها القسري في حياتنا، تتسلل إلى أجسادنا، تتشكل على هيئة علل عضوية متراوحة بين العبور والاستيطان كما حال "حياة".

انتقلت أسماء بعدها، ودون استرسال مشبع: لمَ قد يأتي السرطان للمرء من ظروف مجتمعه أو مشاكل بلدانهَ العربية؟ مشيرة بشكل مباشر إلى ترك البلاد بسبب توترات أولية، ثم تطورت إلى ثورات، ومظاهرات، واحتجاجات، هجَّرت شعوباً من بلدانها، ثم صورة "جاهزة" رمزية عن ابنها "بحر" الذي عبر البحر ليلقى أمه، لكنه التهمه كلقمة سائغة، رغم مناجاتها له، ومحاكاتها الرائعة لأمواجه باستخدام المنخل المملوء بالصدف. ولم يفُت أسماء أن تفتِّت سرطانات المجتمع التي تأتي من تبعات تصرفات أفرادها. فها هو نموذج الشريك الذي يمثل السلطة الذكورية بشكلها العام؛ البطلة حياة تخاطبه في القناع الذي ينتصب على رأس الكرسي جامداً، في رمزية أيضاً، استخدمتها لعلو الذكورة في المجتمع العربي، حتى ولو

كان ذكراً غير منتج وبعيد عن العقلانية. ولعلها استخدمت ثيمة مكررة، ولكنها ضرورية لفهم السرطانات التي قصدتها، من حيث الوعد "المتخيل" في مكافأة المجاهدين في سبيل الله –كما يتصور ناقصو العقل– الذين سيفجرون أنفسهم لقتل أكبر عدد من "الكفار"، بسبعين عذراء على باب الجنة! في تصوُّر قاصر على متعة الجنس التي تدخل ضمن الغرائز الطبيعية للإنسان، وبالطرق الميسرة، التي تروج وتسهل أن ما بعد الموت مباشرة ستكون المكافأة العددية تلك في الانتظار، دون الاعتبار والقياس إلى الأفعال الدنيوية الخيرة التي تحض عليها الأديان في العموم.

وأخيرا، أستند "أدرينالين" على مونولوجات واقعية مرمزة، تشبه فكرة ربط المرض العضوي بفايروس غير ملموس يمتلئ المكان به، بدأتها المؤلفة بأسماء الشخصيات: حياة وابنها بحر إلى استخدام القناع والكرسي والزي الأبيض الناصع في التبدل من حالة إلى أخرى، ودس اسم "شادي" أخيراً، الذي يحيلنا إلى أغنية فيروز المعروفة، والتي فرقتها الحرب أيضاً عنه، الملجأ الذي تربت فيه حياة وشادي للدلالة على وقوفهما في نفس الخط غير المنتمي، والمفترض فيه الحياد، حتى يطاله سرطان التطرف الفتاك، ضمن السرطانات المتفشية في التكفير، والحرب، والإرهاب، والضغائن، وصارت أسباباً أقوى من عدم ممارسة الرياضة، أو شرب الكحول، أو السمنة، والتعرض لإشعاعات مؤذية، أو حتى تناول طعام يحتوي على المواد الحافظة، وغيرها من الأسباب الكثيرة التي يعلن عنها تسببها في هذا المرض الخبيث. ولأن الأنثى، الكائن العاطفي بالتكوين، أكثر من الذكر –غالباً–، فتكون معرَّضة للإصابة أكثر من وجهة نظر العرض.

قيل إن في الفن مقاومة دائمة، وعرض "أدرينالين"، الذي يعتبر التجربة المونودرامية الأولى للفنانة أسماء مصطفى، ينطلق من هذا الفعل القوي، الذي يستعرض بحرقة الألم وأسبابه، وعنده الدافعية للمقاومة، وحث الآخرين عليه. وكما يبدأ النص/العرض بصوت تسجيل داخلي لشعور "العشر دقائق"، بأداء جسدي تعبيري عالي الإمكانيات، والتفكير العميق بتحليق الروح، وبعدها "عشر دقائق" الطبيب، يمر بكل آهات السرطان وحالاته التي تمنِّي فيها "حياة" نفسها بمعرفة ذاتها/ بالشفاء/ بتحقيق الطموحات/ بالتغلب على التناقض/ بالدافع عن نفسها ومساحتها النفسية/ بصون الأنا/ أن تكون مسموعة ومرئية/ أن تشتاق/ أن نستمتع/ أن تدهش وتدهش/ أن تكون حرة من المقيدات الاجتماعية/ أن تتجنب العار والألم/ أن ترفض التقليد، وأن تتصرف تبعاً لرغباتها، وقائمة طويلة من الرغبات والأمنيات التي تمنِّي نفسها بها، بعد أن يكون المجتمع قد شفي من جميع أمراضه المستعصية!

ليلة حرق الخيام

مهدي سلمان

لا أظن أن فكرة العائلة الأدبية الحقيقية لكاتب ما تبدأ مما قرأه هو، أو تأثر به كما يزعم، بل مما كانت أمه تقرأه أو تنشده عليه حين كان على صدرها، أو أبكر قليلاً حين كان في رحمها، أو ذلك الأبعد حين كان يضع رأسه على رجلها وينام، وهي تقصّ عليه حكاياتها أو تبث في رأسه وقلبه ما تحفظ من أشعار، إنها عائلة لا نختارها ولا نحددها، والغالب أننا لا نتذكرها، إنما هي قدرية تماماً، فكما أننا لا نختار آباءنا وأمهاتنا، فنحن كذلك لا نختار ذلك الصوت الأمومي الذي يتلو علينا مختاراته ومحفوظاته والذي يكوّن بعد ذلك مشاعرنا الأولى تجاه الأسئلة الفلسفية الأولى التي تولد معنا ككائنات عاقلة، والتي تحدد إجاباتها بعد ذلك ما سنكون عليه ككتاب.

إن كنت قد بدأت من مقدمة صحيحة، فالغالب أن هذا الشجن والحزن والسوريالية الكئيبة، ومجاهيل الغابات والأحراش والطمي وأنّات الخفافيش والغربان وزعيق الجن والضفادع وتكسّر الورق وخشخشة الموتى كلها كلها، كانت موجودة في صوت أمي، ونقلتها إليّ حين كانت تهدهدني.

وإن كنت أعرف أمي جيداً فالغالب كذلك أن كل هذا انتقل إليها مما يسمّى في التراث الشيعي بليلة الوحشة، ليلة الحادي عشر من محرّم، الليلة الأثيرة لديها للبكاء، الليلة المخصصة للفزع والخوف والحزن والكآبة والقلق والظلام الظلام الظلام، وصراخ الأطفال، والدم، والأعين المفتوحة في رؤوس الأهل المعلقة على الرماح، والضياع والغبار والسديم والعطش وبطون الحيّات.

لا أدعي أنني أتذكر كل ذلك من مصدر وحيد، لكني وأنا أكتب الآن أسمع نشيجها هي، ندبها وتعديدها هي، وهذا لابد يعني شيئاً. إنك تستطيع بيسر أن تعرف من أين استقيت لغتك ومن أين تستقي موضوعاتك، لكن الكتابة ليست لغة وحسب ولا موضوعات فقط، إنها قبل ذلك مشاعر مجهولة تحاول اكتشافها أو السيطرة عليها أو إفزاعها، إنها أسئلة لا تعرف عمّ تبحث ولا ماذا تريد منك، شيء أعمق وأبعد وأشد غوراً من صورك وأخيلتك ولغتك وأسلوبك، وأكثر انطماساً من مصادر نصوصك وإلهامك، ذلك الصوت البعيد الذي لا تدركه في نفسك، ذلك الذي حدّد سلفاً المعدن الذي ستكون عليه روحك، ومهما تغيّرت المصائر بعد ذلك، في الأسفل، في القاع، ستكونه هو لا سواه، وسيكون من المدهش لو سمعت صوت أمك الآن، وعرفت أي القصص كانت تقرأ عليك، وبأي صوت، وكيف كانت تتحسس بطنها وهي تحكي، فيصلك الصوت الغامض ليملأك بما لا تقدر تجاهه إلا الانصياع، فيما أنت مربوط في رحمها بحبل غليظ من الحكايات.

بعد ذلك ستبدأ في اختيار ما يتوافق مع ذلك الصوت، ما يعضده ويدعم صورته، ما يندغم فيه دون نشاز، كل ما ستختار من كتب وكتّاب، سيكون انعكاسا من جانب ما لأثر ذلك الصوت فيك.

القرآن

لا أتذكرني في حلقة من حلقات تعليم القرآن للمعلمة «خاتون»، ما يحضرني من الذاكرة الآن الصوت الجماعي والعشوائي والفوضوي للأطفال فقط وهم غارقون في تلاوة أجزائهم من القرآن كل بحسب سنه ومرحلته التي وصل إليها، لكنني مع ذلك، أذكر أني قرأت القرآن باكراً، وهو ما أجرى لساني ورقق لغتي للمسرح تالياً، منذ كنت في العاشرة أو أقل، كنت أقرأ جزأين منه ليلياً في شهر رمضان، إضافة لقراءات المسجد ليلياً، والتعليم الجماعي فيها الذي انتشر بداية الثمانينيات في البحرين.

القراءة الجهرية أعطتني قدرة الإحساس بمذاق الكلمات، بنكهتها، بتلمس شكلها وهيئتها ووضعها وحالها، وهو الأمر الذي نفتقده الآن في القراءة الخافتة التي نقرأ بها في الغالب. القراءة الخافتة تمنحك الصورة الذهنية للكلمة، المرافق الدلالي لها، لكن الكلمات عبارة عن أصوات، بل إن كل تلك الدلالات لها لم تكن لتتشكل من غير ذلك الصوت، إنه مصدرها الأول، قبل أن تجد رمزاً كالحرف المكتوب تسكن إليه، لكن في القراءة الجهرية، أن تدمج بين هذه الصورة الذهنية لدلالة الكلمة وبين صوتها، صوتها الذي هو شعورها الحقيقي الساكن في اللغة، أن تقول الكلمات، أن تشعر بها على لسانك، أن ينبعث من بين شقوق حروفها إحساسها الأساسي الذي كوّنها، وكذلك، أن تراعي أن يفهمها الآخرون، أن تحبس نَفَسَك لتستطيع إطلاق الجملة التي تريد دفعة واحدة. لقد منحني القرآن وقراءته ذلك الشعور بالعلاقة المهمة والقوية والضرورية بين صوتي، وحروف الكلمة وإحساسي بها، ومع لغة عظيمة ومسيطرة وربانية وغيبية مثل لغة القرآن قد تكون اكتملت اللمسة الأخيرة على معدن الروح، أو تحقق الصوت الخارجي الذي يملأ ذلك الليل المظلم والقاسي والمرعب في السنوات الأولى بالكلمة المفقودة، التي لا أعرف ما هي، التي لن أعرف ما هي، والتي ستظل تتردد بصوت لا يشبه صوتي، ولا صوت الله، لكنه بينهما، وأظن أنه صوت أمي.

العائلة

بعد أن تبلغ المراهقة، وتكون القراءة قد استولت عليك، سيكون بإمكانك أن تختار، عبدالوهاب البياتي الذي يطلب الموت ولا يأتيه أو السياب الذي يموت باكراً دون اختيار، المتنبي الذي يريد من الحياة ما لا تعطيه أو المعرّي لا يريد للحياة كلها أن تتواصل ويشعر بالحاجة إلى نهايتها، محمود درويش وموسيقاه اللغوية أو أدونيس بتشظيه وأفكاره الوحشية، ستقرأ لكثيرين، سيعجبك من كل شاعر أمر ما، شيء ما، وسترفض آخرين لأشياء أخرى، ستقرأ في الفلسفة والدين والأخلاق وستحتقر الرغبة في إصلاح المعطوب من هذا العالم ومع هذا ستسعى بدافع مجهول إلى فعل شيء من هذا الإصلاح، وستقرأ أشياء من التاريخ تجعلك تتراجع نحو الحيطان الوهمية للخيال، وأشياء من السياسة تدفعك دفعاً إلى إغلاق فمك الذي ستخرج الكلمات منه رغماً عنك مهرولة نحو الحفر التي ستجد نفسك أنت تقع فيها، قصصاً وحكايات وروايات وأشعاراً مترجمة، لكنك لن تختار إلا من خلال الصوتين الأولين، ستختار ما تراه الأشدّ حزناً، ما تراه الأكثر تشاؤماً.

وإن كنت ستختار في الحياة خيارات تختلف تماماً عن ذلك الصوت، وستريد فيها أن تكون متفائلاً، وستجتهد لتكون كذلك في معايشتها، لكنك في القراءة وفي الكتابة، لن تكون سوى ابن ذلك الصوت الحزين الذي يتردد فيك وفي ظلامك، وستتساءل إن كان هذا أمر قدري؟ أهو أمرٌ قدري؟ أليس بإمكاني تغييره؟ أجبني أيها الظلام... وحتى هذا لن تكون قادراً على الإجابة عليه.

خليل حاوي، وانتحاره المروّع على شرفته غداة الاجتياح الإسرائيلي لبيروت، سيكون دليلك إلى الموت الذي تجهل من أين يأتي، خليل حاوي ولعازره الذي يعود من موته موجوعاً متألماً، ميتاً من حيث لا حياة في الحياة نفسها، ومن حيث الموت لا سبيل إليه الآن، إن كنا نبحث عن الراحة، أوليست الراحة في انخماد وجع (هذا الدم المحرور في اللحم القديد)؟ ومن ألم حياة خليل حاوي وانتحاره، ستذهب إلى (الذي يأتي ولا يأتي) عند عبدالوهاب البياتي، الموت المرتجى والمطلوب، الموت الذي لا يصل، الموت الذي تنتظره على محطة الحياة كما انتظر صمويل بيكيت غودوه. اختياراتي كلها، ها هي تتراءى لي واضحة بقدر ما هي سوداء وغامضة ومربكة ومرتبكة، تنهل من منبع شبيه بليلة الحادي عشر من المحرّم في مناحات أمي، أحلام شقية لسعد الله ونوس، حيث الموت الذي يخطف الطفل ويبقي على العسكري، حيث الأم الحزينة لا تجد أملاً في حياة مختلفة حتى لو أرادت وخططت، وكأن القدر يقف حاجزاً في وجهها ليبقى بسطار العسكري مثبتاً على وجنتها، أليس هذا حالنا في ثوراتنا الموءودة؟ الخراتيت ليوجين يونسكو، حيث الموت المحتّم والانمساخ، حيث جميعنا نتحول من غير أن نشعر، راكضين في اتجاهات مجهولة دون هدف.

عائلتي التي ربّتني وربّيتها في صدري، عائلتي التي قرأتها واخترتها وأخذتها وأخذتني، عائلة لا من الكتّاب أو الشعراء أو المسرحيين بل من النصوص والكتابات والقصائد والمسرحيات، عائلة من العميان تتدافع في رأس وحيد يحترق، لا يهدف أحد منها الخروج من الرأس، أو النجاة بنفسه، إنما كل ما تبتغي أن تركض وتركض، عائلتي التي تشبه الأطفال، ليلة حرق الخيام.

ومیض

حسين العريبي

نحتاج إلى كتابٍ مثله

المسرح وفنون الأداء وسياسات الذاكرة فى الأرجنتين

يعتبر «كتاب المسرح وفنون الأداء وسياسات الذاكرة فى الأرجنتين» دراسة أكاديمية وتحليلية غنية في تناولها للمسرح في الأرجنيتين وعلاقاته المتشابكة مع تحولات النظام السياسي، من الحكم الديكتاتوري إلى الحكم العسكري ثم إلى ما عرف ب«المرحلة الانتقالية» وصولاً إلى السياسات النيوليبرالية التي استشرت في الأرجنتين في تسعينات القرن المنصرم، وتتمثل أهمية الكتاب في كونه يجمع عدة علوم انسانية وقراءات تزامنت مع العروض المسرحية رابطة مضمونها للقارئ بالأحداث السياسية التي كانت جارية في تلك المرحلة، ومن هذه العلوم: علم النفس، وعلم الاتصال، والعلوم السياسية، والقانون الدولي، وحقوق الإنسان إلى جانب المدارس المسرحية بمختلف إتجاهاتها العالمية. الكتاب صدر بنسخته العربية عن المركز القومى للترجمة، وهو من تأليف بريندا ويرث، ونقله إلى اللغة العربية محمد عبد النبي.

من المهم، في البداية، الإشارة إلى أن التحولات السياسية التي عرفتها الأرجنتين خلال تاريخها الحديث أدخلتها نفقاً مظلماً شهد سلسلة من الاضطرابات السياسية والاقتصاديه، ترافقت مع موجه من الانتفاضات الطلابية والعمالية ضد السياسات الحكومية، حيث ستنتهي هذه الموجات من الاضطرابات بحكم إنقلابي عسكري هيمن على البلاد في الفترة من 1976 ولغاية 1981، ألغي خلالها البرلمان وعلقت الاتحادات العمالية والطلابية، وسقط حوالي 30 ألف قتيل معظمهم من الناشطين السياسيين خاصة اليساريين.

تستمر هيمنة العسكر على مفاصل السياسة في الأرجنيتين لغاية هزيمة الأرجنتين في حرب جزر الفوكلاند حيث تهتز قبضة الحكم العسكري، وتزداد شعبية الحركات المعارضة للحكم العسكري، ويتم السماح بعودة الأحزاب تدريجيًا، ويتولى الرئاسة أواخر 1983 رئيس مدني منتخب الذي يتبنى نهج الاعتراف باخطاء الماضي والمصالحة الوطنية.

في هذا الكتاب تلقي المؤلفة بريندا ويرث الضوء على تلك المراحل وما تلاها بتحليل عميق، حيث تتوصل إلى أن المسرح أستخدم كأداة للتعبير عن التحولات السياسية، وجرى إستخدامه من عدة أطراف بما فيها الأنظمة الديكتاتورية، حيث سادت في تلك المرحلة العروض التي تعزز السلطة الأبوية وضرورة التوحد أو بالأحرى الإنصياع لهذه السلطة. ثم تعرج المؤلفة على أشكال المسرح التي تزامنت مع المرحلة الانتقالية وهي مرحلة المصالحة الوطنية حيث يتعرض الكتاب لأشكال المسرح خلال فترة المصالحة بما فيها الحركات المناوئة لمبدأ المصالحة الوطنية دون التعرض للأبعاد والدوافع التي أدت إلى القمع والتصفيات، ثم تنتقل المؤلفة إلى مرحلة الرئيس كارلوس منعم والتي اتسمت بتهميش الطبقة الوسطى والسير في مشروع النيوليبرالية.

فيما عرف بالمرحلة الانتقالية عمدت العديد من العروض المسرحية لتقويض محاولة جعل الدافع الأخلاقي للمصالحة مكوناً اساسياً لا ينفصل عن عملية التحول إلى الديمقراطية. حيث سعت السلطة إلى تشكيل حالة من التحول الديمقراطي تقوم على طي صفحة الماضي دون محاسبة الجناة، ودون معالجة الأسباب السياسية التي أدت لتلك الأحداث.

سعت العديد من العروض المسرحية في تلك الفترة للفلتان من مأزق التطهير والغرق في النحيب والعويل، بل على العكس من ذلك تبنت العديد من الحيل الصادمة كما جرى في مسرحية (سُلطة) حيث حولت الضحية في حالة دراماتيكية إلى جلاد في تعبير عن شجب فكرة المصالحة التي تتوقف عند الإعتراف بالأخطاء دون محاسبة الجناة، ودون تناول الابعاد السياسية والاجتماعية التي أدت إلى حالات التمرد على النظام السياسي القائم آنذاك.

مسرحية (سُلطة) انتجت سنة 1985 للمؤلف إدوارد بافلوفسكي وشكلت أيقونة للفنون الأدائية التي تناولت مرحلة الديكتاتورية. تقوم فكرة هذه المسرحية على قصة أب في حالة حداد على ابنته التي كان يظن الجمهور أنها أختطفت واختفت في ظل الحكم العسكري الديكتاتوري للارجنتين، مما يحذو بالمتفرجين للتعاطف مع هذه الحالة والتماهي معها بغية التطهير النفسي، إلا أن المخرج عمد إلى حيلة كسرت هذا الإيقاع عندما حوّل هوية الأب المكلوم إلى شخصية أحد الجلادين في محاولة منه لخلخلة فكرة المصالحة الوطنية القائمة على التطهر من الماضي دون البحث الجدي في أسباب ما حدث. سعت المسرحية إلى دحض فكرة "التصالح" مع المصالحة الوطنية دون النضال من أجل محاسبة الجناة الحقيقيين، وقصد العرض المسرحي من خلال هذه الحيلة تصوير الجمهور على أنه مشارك ولو معنوياً في التواطئ مع الجناة بركونه لفكرة المصالحة الوطنية التي لا تؤدي إلى محاسبة حقيقية.

كما برزت في مرحلة التحول الديمقراطي اتجاهات مسرحية ناضلت من أجل إستعادة فكرة الهوية من خلال تبني قضية خطف أطفال المعتقلين إبان الحكم العسكري، ومنحهم لعائلات أخرى متعاونة على الغالب مع السلطة العسكرية. بعكس حالة التغريب عند بريخت تعد مسرحية (باتريشيا زانجارو) إحدى تلك العروض المسرحية التي تقدم استراتيجيات أصيلة في تقويض الإرتباط بالديكتاتورية، وفي حين يشترط بريخت، تغريب المشاهد للوصول إلى التفكير النقدي في الأحداث التي تصور على خشبة المسرح، فإن مسرحية زانجاروا تجعل التحليل الذاتي ممكناً عبر التشديد على شعور الارتباط والتماهي بين شخصيات العمل والمشاهدين.

كيف؟ سعى القائمون على هذا العرض الذي قدم ضمن مهرجان المسرح من أجل الهوية الهادف إلى رفع الوعي بشأن ما يقارب من 500 طفل سلبوا من عوائلهم إبان مرحلة الحكم الديكتاتوري، لجذب أنظار الجمهور إلى قضيتهم وتوريطه بطرق أدائية جديدة للغاية، حيث تمت مخاطبة الشباب الواقع في الفئة العمرية بين العشرينات والثلاثينات مبينين لهم أنهم قد يكونوا أبناءاً لأحد الأشخاص المختفين قسرياً، حيث يرفع المهرجان المسرحي شعار " هل تعرف من تكون؟". وهو ماجعل كل مشاهد بطلاً محتملاً في عملية السعي المتواصل نحو تسهيل عملية استعادة هوية أبناء الأشخاص المختفين قسرياً.

ولا يستقر الكتاب عند مرحلة المحاسبة بل يطال أزمة الطبقة المتوسطة خلال فترة حكم الرئيس كارلوس منعم. وقد اتسمت العروض المسرحية في تلك الفترة بالتعبير عن الهوة الطبقية التي سادت المجتمع نتيجة سياسات منعم النيوليبرالية، ويظهر ذلك من خلال مجموعة من الأعمال التي تتناول التهميش والإفقار والظلم الاجتماعي الذي تفشى خلال تلك المرحلة. وتعتبر مسرحية "المُرحب" نموذجاً لعروض تلك المرحلة حيث تتناول قصة انهيار رجل عصامي يمثل عمود الأسرة في الطبقة المتوسطة. كما تتناول مسرحية "طبقة الخلود" إتجاه أفراد أسرة من الطبقة المتوسطة إلى تقطيع اجسادهم وحشوها في أكياس بلاستيكية وتفريقها في أنحاء المدينة للحصول على عضوية "طبقة الخلود" العالمية الحصرية والمستعبدة للآخرين. في تعبير عن مدى التفاوت الطبقي والإفقار المدمر الذي وصل إليه المجتمع في تلك الفترة.

فيما تركز مسرحية " ألبورنوز" على دور الاعلام في تصويرها لهلاك أسرة من الطبقة المتوسطة باستخدام مجموعة من التكنولولجيات المرئية التي تمزج بين الحقيقة المعاشة والحقيقة التي تطرحها برامج تلفزيون الواقع، حيث يلعب التلفزيون المحور الرئيسي في هذا العرض المسرحي. استفاد العرض من التكنولوجيا المرئية وانتشار عروض تلفزيون الواقع في تلك المرحلة ليبين للمجتمع خطر الخطاب المضلل الذي تتبناه النيوليبرالية والذي يسهم في تحويل المجتمع إلى عبد للنزعة الاستهلاكية.

"المسرح وفنون الأداء وسياسات الذاكرة في الأرجنتين" وثيقة أكاديمية مهمة، تبين دور المسرح في النضال من أجل قضايا المجتمع وتحليل تحولاته، نأمل أن يصار إلى إنتاج مثل هذه الوثائق العلمية لرصد تجربة المسرح البحريني وتأصيلها وربطها بالتحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي مرّ بها المجتمع.

نصوص

اضْرِبْ لي موعداً كي يعرفَ المَقهى أنّكَ تُحبُّني،
كي تُصدِّقَ الطاولةُ أنَّ انْتظاري ليسَ عبثاً..
كي يصمُدَ الكُرسيُ أكثر معَ اهتِزازاتِ قلقي،
كي تُصدِّقَ الحياةُ أنِّي عاشقةٌ،
كي أُداري أثرَ قُبْلاتكَ عَن ظلِّي؛
ظلِّيَ الذي يُواجهُني بالحقيقةِ كُلما حاولتُ أنْ أُخفي نَزَقي..
اضْرِبْ لي موعداً آخرَ كي تكتُبَ السماءُ قصةَ قُبْلاتِكَ على الغيْمِ،
وتمطِرَ للعالمِ شفاهاً وقُبَلاً..
الشارعُ الباردُ سيشعُرُ بالدفءِ،
السماءُ ستبتسمُ
وأنا أخلعُ حِذاءَ قلبي
وأسيرُ معكَ على شاطئِ الهَذَيانِ
نُدَندِنُ قصيدةً ونُثرثِرُ بِهَمسٍ عَنْ روايةِ القُبَلِ المَنسيّةِ في ذاكرةِ الكُحْلِ
ورمْشِ الوَلَه..
يُنصتُ البحرُ لنا فيُوشوشُ للنوارسِ كي تعلنَ عن ثورةِ الموجِ وتعاشُقِ
العُمْقِ بالساحل..
هناكَ سيكتُبُ الحبرُ قصةَ قُبلَة تطلبُ موعداً بالمَقهى المنسِيِّ، كي يهدأَ الموج..
اضرِبْ لي موعداً كي أحيا كقِطعَةِ سُكَّرٍ في فَمِك.

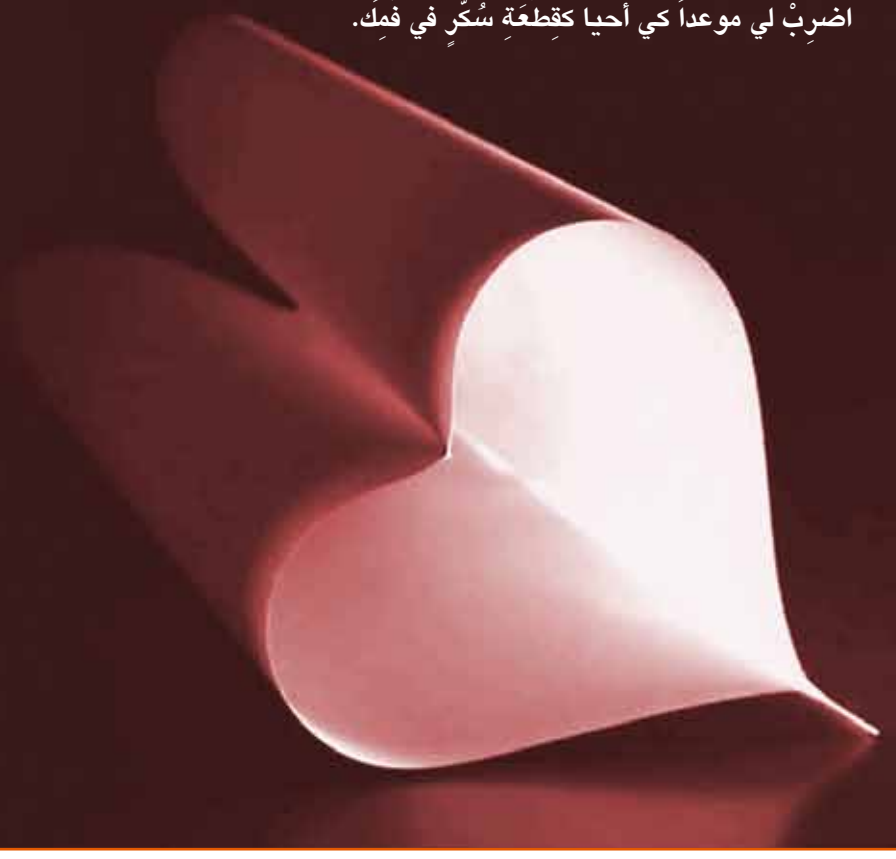

فاطمة محسن

في ذاكرة قلبي نخلة
كلما تملكني الخوف
هززت بجذع النخلة
فيساقط رطب روحك
لينقذ غربتي
من مخاض الجفاف
فأصبح جسد الوردة
ويتسرب عطرك لي فأكتمل

في أصابعي دالية
خلفها قصص العصافير
أجوع إليك
فأتم نذوري
لشجرة النبق
وأطعمها جيدا
كي تحجز لي مقعدا في العناق

يتسرب جسدي
اتلفت
أراك
فأعرف جهته
أرسم قبعة وخلخال
ظلان يرقصان
يدخلان الكون
فتهرب الفوضى من نافذة البرد

واحة الفكر

بورتريه للفيلسوف المادي

ترجمة وإعداد: هشام عقيل

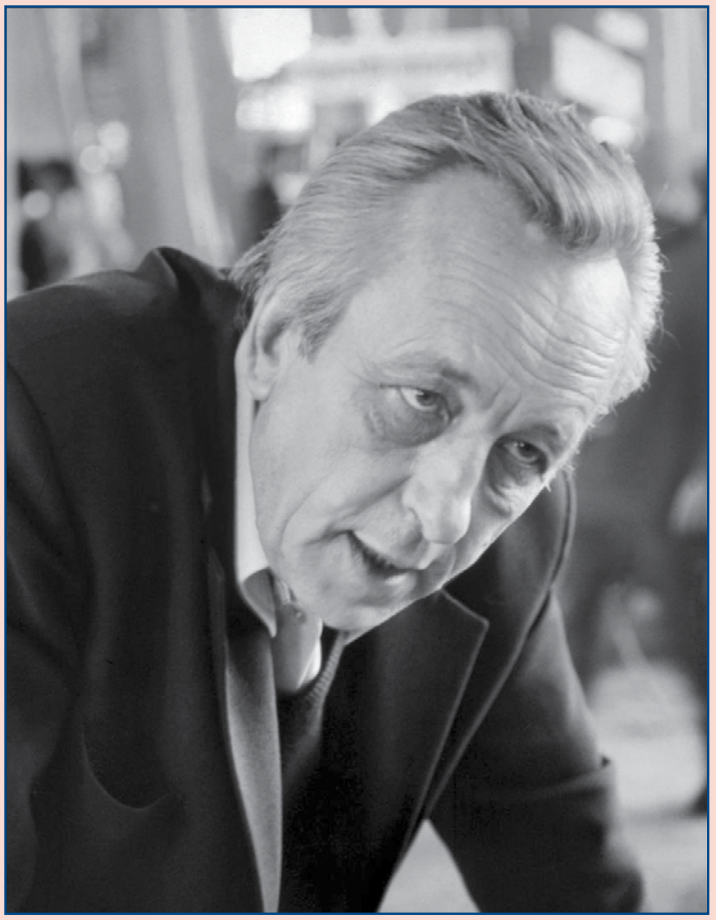

لوي آلتوسير

ليس مهماً عمر المرء؛ صغيراً كان أو كبيراً. المهم هو أنه لا يعرف أين هو، ويريد أن يذهب إلى مكان ما. لذا تراه دائماً يلاحق قطاراً متحركاً، مثلما يفعلون في أفلام الغرب الأمريكي؛ دون أن يعرف من أين أتى (أصل)، أو إلى أين هو متجه (هدف). ينزل في مكانٍ ما على الطريق في مدينة معزولة، تتوسطها محطة سكة حديدية تافهة.

حانة، وبيرة، وويسكي: «من أين أتيت يا صديقي؟»، «من مكان بعيد جداً..»، «إلى أين أنت متجه؟»، «لا أدري!»، «ربما لدي عمل لك»، «حسناً لا مشكلة».

هكذا، يذهب صديقنا نيكوس إلى العمل. هو يوناني المولد؛ هاجر إلى الولايات المتحدة، مثل الكثيرين الذين سبقوه، ولا توجد في جيبه قطعة نقدية واحدة. يجتهد في عمله، وبعد سنة واحدة يتزوج أجمل فتاة في المدينة؛ يبدأ بتجميع الموارد ويشتري أول ماشية لقطيعه. وبفضل ذكائه وبصيرته، ينتقي ماشية قوية (خيول، أبقار..) وينتهي به الأمر بأن يملك أفضل ماشية متوفرة – بعد عشر سنوات من العمل المضني.

أفضل ماشية = أفضل مجموعة من مفاهيم ومقولات. إنه يتنافس مع الملاك الآخرين، لكن بسلام. الكل يعترف أنه الافضل، وأن مجموعة مفاهيمه ومقولاته (ماشيته) هي الأفضل؛ سمعته تنتشر في الغرب، ثم في البلاد كلها.

من حين إلى حين، يلحق بقطار متحرك ليرى، ويتكلم، ويسمع – مثل غورباتشوف في شوارع موسكو. على كل، للمرء دائماً القدرة على أن يحلق بقطار أينما كان!

شهرته طاغية؛ يمكنه أن يترشح لرئاسة البيت الابيض، رغم أنه بدأ من لا شيء. لكن لا! إنه يفضل السفر، والتجول مشياً في الشوارع؛ هكذا يتمكن المرء أن يفهم الفلسفة الحقيقية، الموجودة في أذهان الناس التي هي دائماً تناقضية.

لهذا السبب يقرأ للهندوس وللصينيين (الزن)، وكذلك لماكيافيلي، وسبينوزا، وكانط، وهيغل، وكيركيغور، وكافاييس، وكانغيلم، وفييمان، وهايدغر، ودريدا، ودولوز، إلخ. هكذا، دون أي قصد، يغدو فيلسوفاً مادياً شبه محترف، ليس مادياً ديالكتيكياً..هذا الرعب! بل مادي تصادفي.

يبلغ المستوى الكلاسيكي للحكمة، النوع الثالث للمعرفة عند سبينوزا، الإنسان الأعلى عند نيتشه؛ يبلغ إدراك العودة الأبدية: بمعنى أن كل شيء مكرر، ولا يكون إلا في تكرار متفارق. الآن يدخل في نقاشات مع المثاليين الكبار؛ أنه لا يفهمهم وحسب، بل يشرح أطروحاتهم لهم! الآخرون يقتنعون أحيانا بآرائه بمرارة عظيمة، لكن .. على اية حال:

أفلاطون صديق عزيز، لكن الحقيقة أعز منه!

(Amicus Plato، magis amica Veritas!)

ترجمنا هذا النص عن اللغة الانكليزية من كتاب:
Louis Althusser، “Portrait of the Materialist Philosopher”، in Philosophy of the Encounter: Later Writings 1978–87، Trans. G.M. Goshgarian، ed. by François Matheron and Oliver Corpet، (London: Verso، 2006)، pp. 290–291.

التقدمي

رئيس التحرير: د. حسن مدن - مدير التحرير : فاضل الحليبي

التقدمي العدد 141 ـ اغسطس 2019 السنة السابعة عشر SDPA 499

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

ذاكرة

هكذا تحدّث أحمد الذوادي

* نجد لزاماً أن نوضح أن مفهوم الاستراتيجيات والتكتيكات الذي نعنيه ونستخدمه، هو على عكس المفهوم السائد بمعناهما السلبي، إذ ما نعنيه بهذا المفهوم وببساطة هو الأهداف والوسائل الايجابية التي يتطلبها العمل الوطني للوصول إلى غاياته في انجاز مهام المرحلة الراهنة الهادفة إلى إقامة النظام الديمقراطي الدستوري للمجتمع المدني بكل مؤسساته التشريعية والمجتمعية والقانونية الشاملة لكل مجالات الحياة في مجتمعنا. ولسنا بأي حال مع أي فهم سلبي آخــر لهذا المفهوم.

كذلك فإن الصراحة والشفافية والوعي لا تعني بالنسبة لنا بأي حال عدم اعطاء الاعتبار للأولويات من جهة، كما لا تعني من جهة ثانية، عدم الوضع في الاعتبار، وبشكل أساسي، ما هو ممكن وما هو غير ممكن في ظل معطيات الأوضاع في وطننا.

ومن هنا، فإن استراتيجيتنا وتكتيكنا، ينبغي لهما أن يتفقا مع متطلبات تحقيق أهداف المرحلة التي يقف وطننا على أبواب ولوجها ، من خلال الاسهام والتعجيل بأعمال لجنتي تفعيل الميثاق الوطني وتعديل الدستور، لتأتي ثمار أعمالهما خادمة ومسهمة في انضاج الخطوات والإجراءات المطلوبة. ولعل هذه المهمة تأتي على رأس أولويات عمل كل القوى الفاعلة في مجتمعنا.

1 يونيو 2001

* لقد تراجع دور الأحزاب الشيوعية والعمالية في كثير من البلدان المختلفة، وخاصة بعد الانهيارات والهجمات المعادية واسعة الانتشار والقوة التي أدارتها وشنتها ماكنة الدعاية الامبريالية العملاقة، وتبع ذلك بالنتيجة تراجع دور الحركة النقابية. وهذا أمر منطقي في ظل هذه الأوضاع. لكن ماهو غير طبيعي أن نستسلم لهذا الواقع المفروض بالقوة ونخضع لتأثيرات تلك الهجمات.

تغيرت الأوضاع في مختلف البلدان في فترة ما بعد الانهيارات عنها في فترة ماقبل الانهيارات، وأوجدت هذه المتغيرات أمام الأحزاب الشيوعية والعمالية وأمام الحركة النقابية، مهام تختلف عن السابق، ولعلها بسبب

أحمد الذوادي

تلك الظروف تكون أكثر تعقيداً وحرجاً، ما يقتضي معها أن تكون الجهود المطلوب بذلها لمواجهة تلك المهام، أضنى وأكثر.

إن أعقد المهام في تصورنا هي تلك المتعلقة بعلاقات هذه الأحزاب بالجماهير الشعبية وخاصةً الأجيال الشابة .. ذلك أن قوة واتساع نفوذ هذه الأحزاب كانت قوية وملحوظة عندما كانت علاقاتها واسعة ووثيقة بتلك الجماهير، ولا شك أن هذا النفوذ والقوة سيبرزان من جديد عندما تعود وتقوى تلك العلاقات.

22 - 24 يونيو 2001

* أجل، لقد تغيرت الظروف والأوضاع، لكن الأهداف والآمال والطموحات التي هي أهداف وآمال وطموحات شعبنا لم تتغير. كنا نناضل من أجل تحقيقها في السر، واليوم نعمل على تحقيقها في العلن. والعمل في السر يختلف كثيراً عن العمل في العلن. الفرق الأول في تصوري أن الواحد منا في العمل السري، كان يحاسب نفسه ويحتكم في الأساس إلى ضميره، وربما أمكن لرفاقه محاسبته على ما قد يصل إلى علمهم. لكن في العمل العلني، فهو يعمل تحت الأضواء والأنظار، هو واقعٌ أمام محاسبة الجماهير عامة، كل ما يبدر منه، وكل فعل يأتيه يراه الناس جميعاً ويرون نواقصه أو اكتماله. وما دام ناذراً نفسه لهذه المهام، فالمنتظر من أعماله الفعالية والابتكار والمبادرة والاكتمال قدر المستطاع.

نوفمبر 2011

* تسيطر على ذهنية بعض الأخوة، فكرة التسرع والإسراع في كل شئ، وكأنه كلما أسرعوا كلما حققوا انجازات أكبر، بينما يؤدي التسرع في واقع الأمر إلى عدم التمعن في مجريات الأمور، وعدم الالتفات إلى موازين القوى في الحكم والمجتمع ومنحها الاهتمام اللازم، والنظر إلى مدى تأثير هذا التوازن (وتأثيرنا فيه وتأثرنا به) في صيرورة الأحداث ومستقبلها، ومدى تأثيرها على تنفيذ الخطوات الأولى لإقامة النظام الديمقراطي الدستوري المنشود، والذي لا يزال في حقيقة الأمر مشروعاً، يقتضي تحقيقه إلى تضافر طاقات كل القوى ذات المصلحة الحقيقية في اشادته، ويتطلب أول ما يتطلب دراسة خطواتنا العملية على هذا الطريق دراسة صحيحة متأنية وواقعية وتجنب الوقوع في الأوهام.

إن التسرع يوقعنا في أخطاء من الممكن تفاديها. وقد يؤدي التسرع إلى نتائج على عكس ما نستهدف ، مثلما قد يؤدي القفز على عتبات السلم إلى التعثر والتعرض لأضرار نحن في غنى عن معاناتها ، في حين رؤية تلك العتبات واجتيازها بأناة يوصلنا إلى الهدف دون تعثر أو أضرار.

سبتمبر 2002

* ما يثير الارباك بالفعل، وما يشكل مصدراً مقلقاً لهذا الارباك هو ما يلمس من أجواء التباطؤ والفرملة، بالاضافة لمحاولات الالتفاف، من قبل السلطة التنفيذية، والتي سادت المشهد العام خلال الفترة الأخيرة، وخاصة فيما يتعلق بمسيرة الاصلاح السياسي والاقتصادي ومواجهة الفساد المالي والاداري، وتغييب بعض الآليات التي تم تشكيلها لتفعيل المسيرة الاصلاحية مثل المجالس واللجان المتخصصة والتي كانت ستقوم بدور مكمل ومساعد لدور المجلس النيابي .

2003 /6/1